

وهبنه سكه شريفى
٧٥

دلال كتب
دبي

١/120 ى







هذه فهرست كتاب انوار التنزيل واسرار التأويل
المشهور بتفسير القاضي البيضاوي تغمده الله بالرحمة

ربنا كما أنعمت فزد فزدنا فلك الحمد حمدا كثيرا مباركا فيه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه وسلم

كتاب
أنوار التنزيل وأسرار التأويل
تأليف

امام شرع قاضي ناصر الدين بيضا در تفسير بستود	كه سبقت برده از اقران ماضي خدا و مصطفى زو باد راضي

الشيخ الإمام العالم
العلامة الفاضل المحقق
والكامل المدقق خاتم المفسرين
عمدة المحدثين أبو سعيد
عبد الله محمد بن علي

تشرف باستكتاب هذا التفسير المبارك العبد الفقير كاتب
علوان بن عبد النبي بن علوان آل قرماني الحنفي كاتب الأحكام الشرعية
بالأبواب العلية وتذكرجي ديوان مصر المحمية عفا الله عنهم أجمعين

المعروف بناصر الدين الشيرازي
تغمده الله بالرحمة والرضوان بمحمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر
سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم
من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم
سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن
آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا
وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد
الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم
تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد
ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب
الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه
وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا **وبعد**
فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو
رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق
لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها
اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها
ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني
من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين
وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل

المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية الى الائمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور
بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي
بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته
ناويا ان اسميه بعد ان اتممه **بانوار التنزيل واسرار التأويل**
فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل
سؤل

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه
ومبدؤه فكأنها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على
ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على
جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية
كذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب
قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلوة والسلام هي شفاء
لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية
دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة
حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص **بسم الله** من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام
وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن
انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا
احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام
قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي الله تعالى عنها
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين
الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن
حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلو
التسمية مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر
ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول
هاهنا كما في بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل

في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل الة لها
من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة
والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى
متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم
ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت
ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند
الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة
سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات متقطعة غير قارة
ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد
به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده
الى نفس ما هو المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل
بالله لان التبرك والاستعانة او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو
وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة
وعوضت عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق
والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة
والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في
معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح
تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع
اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع
اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة

لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده
الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب
وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته
المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا
مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف
عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار
امر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد
ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله سبحانه وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى
الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين
الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام
عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن
تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء في ضرورة الشعر الا لا بارك الله
في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال **الرحمن الرحيم** اسمان بنيا للمبالغة من رحم
كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما
تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ
من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا
لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يختص بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة
وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا
ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ
في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه مستعيض بانعامه ولطفه
يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في
ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه
والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر

عليها احد غيره ولان الرحمن لما دل على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول
ما خرج منها ليكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير
مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها
جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق
ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري
من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه
ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا
وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة ۞ يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة
وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر
والعمدة عليه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم
يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله
واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته
له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد
ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه
بوسط او بغير وسط كما قال سبحانه وتعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ
الحمد لله باتباع الدال للام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة
كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو
رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
على غيره سبحانه وتعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم
وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل

عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى
بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على
المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى
لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك
والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر
مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى
المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على
طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم
جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده بنفوذ الامر فيه واجراء هذه
الاوصاف على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه سبحانه وتعالى
الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف
يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل
لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد
وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر
منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق
الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين
اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز
بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال
من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني
اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه

والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم رقي عما هو منتهى امره
وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناديه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله سبحانه وتعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة وقوله سبحانه وتعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت
له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود
واياه ضمير منصوب وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال
الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها
لما فصلت عن العامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل
الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في
غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله سبحانه وتعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا ياتي الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها
يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل
ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل
الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد
طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها
ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر
ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم
ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا
وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها
نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا

استغرق

استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا
حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله
عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على
الاستعانة لتتوافق رؤس الاي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى
الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا
منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا
يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك
مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة
المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم
والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله سبحانه وتعالى فاهدوهم الى
صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه
هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله سبحانه وتعالى
واختار موسى قومه وهداية الله سبحانه وتعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد
لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب
الدلايل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر
ويريهم الاشيا كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص
بنيله الانبيا والاوليا واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من
الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف
الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط عنا
غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعا يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط
الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم

والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت
الزاي لتكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب
بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي
والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول
بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان
طريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل
اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من
انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان
فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله سبحانه وتعالى وان كا
لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه
بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن
والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي
تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الابدين والمراد من النعمة هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى
نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب
عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من الغضب والضلال او صفة مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين
جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال
وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني
او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين

والغضب

والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله سبحانه وتعالى
اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف
الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين
ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل
ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ
وله عرض عريض والتفاوت ما بين اقصاه وادناه كثير قيل المغضوب عليهم
اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل الاية وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالين الجاهلين بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل
ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد
في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقا
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله
عليه الصلاة والسلام علمني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة
وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده ويقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه
الصلاة والسلام كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي
حنيفة رضي الله عنه ان لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن
مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا
الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر
له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين
اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا
منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب ختما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان المتلو من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة

نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في عن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاي والفاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاثا مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى

انّ هذا المتحدّى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل
هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سمّيت بها اشعارا بانها كلمات معروفة
التركيب فلو لم تكن وحيا من الله سبحانه وتعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليها بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم
بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت
مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك
والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر
انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله سبحانه
وتعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز
ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قال
قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله
قلت لها قفي فقالت قاف ٭ لا تحسبن انا نسينا الايجاف ٭ كما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه
وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو
ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام
وآجال بحسب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلاة
والسلام لما اتاه اليهود تلى عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ
فان تلاوته اياها بهذا عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب
تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف
المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة
هذا وانّ القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لانّ
التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم
والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة
لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على
الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي

ذلك ان لا يكون لها معنى في حيّزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معيّنة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنه فتنبيه على انّ
هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى
انه عدّ كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون
غيرها اذ لا مخصّص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير
ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما
تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر
اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم
جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر من حيث كونه اسما فلا
دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من
لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب
والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله تعالى عنه كان يقول
يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ
المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع
بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله وقيل
انها سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ
من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى
الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل
والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله عز
وجل وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع
بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا
او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن فيكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها
ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب

كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية فانه جعل مقابل الضلال في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين لانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت عامة لكل مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد

منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر التقوى ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية الكريمة تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن الكريم او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفة ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير وذلك يوقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابع تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله واستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا ينتشب الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة جزلة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف

وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر
للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على
انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات
الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب
عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام
الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان
بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لتفضيلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى
او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع
بالابتداء وخبره اولئك على هدى من ربهم فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة
عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما
امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والدين والبعث والجزاء ومجموع
ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا
وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب وقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه
مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح
في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة
التغيير وانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق
وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق القلبي كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار
به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع
ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة
كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة
التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه

بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو
المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته
حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا
كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او
عن المؤمن به وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من
الايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا
كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلاة يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا
جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا
حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن
الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه
التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة
كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى
اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتمالها
على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا
اللفظ في المعنى الثاني مع اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ
قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان
وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع الانتفاع
به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم
الله بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك

الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل لك من حلاله وبانه لو لم
يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك بقوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف
المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسر بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه
او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة
على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل
ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده
قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك**
وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون
على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخص تحت اعم اذ المراد
باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان
تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن
الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف
كما وسط في قوله . الى الملك القرم وابن الهمام . وليث الكتيبة في المزدحم . وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب . على معنى انهم الجامعون بين الايمان لما
يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين
او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل
بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلا الى اسفل وهو
انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان
يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه
والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان
كان انزل من بعد موسى بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه
ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب
السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون لابد
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش

وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كان عليه من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم
الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره ودوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء
يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير
مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين ايقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال
ولذلك لم يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار
بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام **وقرئ** يوقنون بقلب الواو همزة بضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره . لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود . **اولئك**
على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له
فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر
الايات والا فاستيناف لا محل له فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم
حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ
من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه ان ترتب الحكم على الوصف
ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب
الهوى . وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة
النفس . ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول
الهذلي . فلا وابي الطير المربة بالضحى . على خالد لقد وقعت على لحم . واكد تعظيمه بان الله
مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة **واولئك هم المفلحون**
كرر فيه اسم الاشارة على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان
كلا كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر
عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كالذي انفتحت له وجوه الظفر
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذي بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة الى

ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تأمل كيف نبه
سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم
الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب
لاقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد
بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم
الفلاح لهم رأسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم
التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفعهم الهدى
ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب
وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي
شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي
خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني
ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية
وهي بعد باقية مقتضية للرفع للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية
بالتجرد لتخلفه هنا في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها
تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض
الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر
لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي جهل وابي لهب والوليد
بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصر
بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع
والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما
عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في نفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن
بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه يقتضي التعلق
وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم**
خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا

مستو

مستو انذارك وعدمه لهم او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم
والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول
الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه لانه
اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم
ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى **وقرئ** ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين
على غير حده وبتوسط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة
لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا
يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب
خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال
لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره
تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة
على ان الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو
به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى**
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم
سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه
آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء
كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في
نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث

بحيث

لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها أعين
المستبصرين كانما غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما
وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من
اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات
باسرها مسندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة
مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا
ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف
الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي
خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به
الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في
الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند
اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض
التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي
وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا تهكما واستهزا
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس ان ذلك في الآخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم
فيما يضاف الى الله من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك
في جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات
وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة

باشياء صح

بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما
بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله ۝
والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في
الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد
به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على
ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين المهملة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح
وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من
التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به
انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع
غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاء التعامي عن آيات الله ولهم من الآلام العظام نوع
عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح
سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطات
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة
راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا
واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بهم وسجل على عمههم
وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ۝
وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس
واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال
في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون

ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ
لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة اريد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا
في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم
تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون
الاية الكريمة تفسيرا للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما
يقصدون به النفاق فان القوم كانوا يهودا فكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان
النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم
وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر منهم لا على وجه
الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوا تمويها على المسلمين وتهكما
بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ
بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي
والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما
ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن
الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان فلذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية
الكريمة تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه وينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف
مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين امنوا** الخدع
ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع
الضب اذا توارى في جحره وضب خادع اذا توهم الحارس اقباله عليه ثم خرج من باب
اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه عز وجل لا يخفى عليه خافية
ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة

الرسول

الرسول صلى الله عليه وسلم معاملة الله من حيث انه صلى الله عليه وسلم خليفته تعالى كما
قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة
صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام
المسلمين عليهم وهم عنده تعالى اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم
وامتثال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون
لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان
يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين
من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخادعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابي
عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها لاحق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على
مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا
بين اثنين **وقرئ** ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخادعون على البناء
للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح
لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط
احتياجها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا يأمره
ويشير اليه فالمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم **وما يشعرون**
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور
كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه
واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة فيما
يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض
النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها
مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية الكريمة
تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات
شأن الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في
اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي

صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع او بازدياد التكليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله سبحانه وتعالى من حيث
انه من فعله تعالى واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا
ويحتمل ان يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين
وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعدا وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب اليم** اي مولم
يقال الم وهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قراة عاصم وحمزة
والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاهم وهو قولهم امنا وقرا الباقون يكذبون
من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوبهم واذا خلوا الى شياطين
دينهم او من كذب الذي هو المبالغة والتكثير مثل بين الشي وموت البهايم او من
كذب الوحش اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراه فان المنافق متحير متردد والكذب
هو الخبر عن الشي بخلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث
رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض
ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف
على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به
ان اهله ليس الذي كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله كحالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشي عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالاة الكفار عليهم بافشا الاسرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد ما في الارض من
الدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى
او الرسول او بعض المومنين **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على
سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا
متمحضة عن شوايب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما منطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض فمن زين له سو عمله فراه حسنا **الا انهم هم المفسدون ولكن لا
يشعرون** رد لما ادعوا ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرف التاكيد المنبهة على
تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افاد تحقيقا

ونظيره

للنسبة بيان

ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى
به القسم واختها اما التي من طلايع القسم وان المقررة للتنبيه وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله
امنوا **كما امن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما
واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل
فان اسم الجنس كما يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة والمقصودة منه ولذلك يسلب عن
غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر
في قوله اذا الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او
من امن من اهل بلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص
متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق
وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا انومن كما امن السفهاء**
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه
على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين
كانوا فقرا ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم
ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشباهه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيها
نقصان العقل والحلم يقابله **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة
في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا
يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه لان الوقوف على امر الدين
والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر فاما النفاق وما فيه من الفتن والفساد
فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا** بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما صدرت به القصة
فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير **روي** ان ابن ابي واصحابه
استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هولا السفهاء عنكم فاخذ
بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله

اي رئيس المنافقين

وخببه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقا
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا
طرحته فانك تطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت به معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء
والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم
واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل
سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد
له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قالوا انا**
معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان
لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه
ولانهم لم يكن لهم من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج
ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر
على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان
فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ
به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء
الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظية او لكونه مماثلا له في القدر
او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا
فاجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في
الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون فاذا صاروا
اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف
به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى يتولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان
استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت
نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم**
في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده ومنه مددت السراج والارض

اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم
ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم
وسد طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوب الكفار رينا وظلمة تزايد
قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند
ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان
اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق
الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد
في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي
الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والتقدير يمدهم استصلاحا وهم
مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كاللقيان تجاوز الحد في العتو
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه
في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء
لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة**
بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب
من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله
اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك
عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من
المعاني او الاعيان ومنه . اخذت بالجمة راسا ازعرا . وبالثنايا الواضحات الدردرا .
وبالطويل العمر عمرا جيدرا . كما اشترى المسلم اذ تنصرا . ثم اتسع فاستعمل
للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة
التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة .
واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء
في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه . ولما رايت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري . والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل
على راس المال ولذلك يسمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا**
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا

بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس المال يتوسلون به إلى درك
الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير
فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر
ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير
يقال مثل لشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة
ولذلك حافظوا عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها
غرابة مثل مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله لله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة
الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا إن جعل
مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لأنه غير
مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة ولأنه ليس
باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس
الذي جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف
ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين
أو الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا فلما
أضاءت ما حوله أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة
إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب
على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ۵
ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما
بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان
والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز
من الالتباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب
خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وأمسكه فلا
مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا

ترى

ترى كيف رد ذلك وأكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي
عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى
فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى
أفعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة
مأخوذة من قولهم ما ظلمك تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر
وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى
فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية
الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق
باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له
بالفطرة أو ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله
عنه ما أشرق عليه من أنوار الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة
الأموال والأولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب
أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله إياها وإذهاب نورها صم بكم
عمي لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا
الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
أصم عن الشيء الذي لا أريده ۞ وأسمع خلق الله حين أريد

وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث
يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ۞ له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى الشعراء المفلقين يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بأن له حاجة في السماء

وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره قوله

أسد علي وفي الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا إذا جعلت الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين
فهي على حقيقتها والمعنى أنهم أوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم
بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول

شرح فتخاء أي مسترخية الجناح

ترکهم والصمّ اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصمّ وقناة صمّاء وصمام القارورة
سمّي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل
على هوآء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد
يقال لعدم البصر فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اشتروها للدلالة على اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب
من السما عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم
واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس
الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانه يفيد التساوي في حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السما ومعناه ان قصة المنافقين
مشبهة بهاتين القصتين فانهما سوآء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما
او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ
واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد
وتعريف السما للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بآفاق السما كلها فان كل افق منها يسمّى سما
كما ان كل طبقة منها سما قال ومن بعد ارض بيننا وسما ۞ امدّ به ما في صيب من المبالغة من
جهة الاصل والبنا والتنكير وقيل المراد بالسما السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات
ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به
وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا
لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا احدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من
برق الشي بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في
آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن
معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم ۞ بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان المعنى ما بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة
والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقيل
يطلق على كل هائل مسموع ومشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق

اوشدة

اوشدة الصوت وقرئ من الصواقع لاستوآ كلا البنآين في التصرف فيقال صقع
الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتا للمبالغة في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت
نصب على العلة شعر واغفر عورآء الكريم ادخاره ۞ واصفح عن شتم اللئيم تكرما ۞
والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة بمعنى التقدير
والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط
لا يخلصهم الخداع والحيلة والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم
استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود
مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد
القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من
خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر
الطا ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التا الى الخا ثم ادغمت في الطا ويخطف
بكسر الخا لالتقاء الساكنين واتباع اليا لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب
بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل
ويشهد له قراءة اظلم على البنا للمفعول وقول ابي تمام

هما اظلما حالي ثمّت اجليا ۞ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

فانه وان كان من المحدثين لكنه من علما العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما
يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت
وقام الما اذا جمد ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شا ان يذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وبابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب
عليه ولقد تكاثر حذفه في شا واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشي المستغرب كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ۞ ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفا
الاول لانتفا الثاني ضرورة انتفا الملزوم عند انتفا اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم
بزيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابدا المانع لذهاب

سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروطة بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته **إن الله على
كل شيء قدير** كالتصريح والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق
بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى
مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء
قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة
تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة يتمكن بها من الفعل لما يشاء على ما يشاء ولذلك
لم يوصف غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء
مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع امور تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم
بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل
حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من
اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن
جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله
تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول
امرئ القيس ٭ كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان تشبه ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم النار باستيقاد النار وما
انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاولاد والاموال وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافتضاح حالهم وابقائهم في الخسار
الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه
وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق وحذر
الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر

وجهلهم

وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع
خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين
لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي
سبب الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب حياة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة
واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد
وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله
والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه
ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين
تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ٭ ونبه بقوله ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها
الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير **يا ايها الناس اعبدوا
ربكم** لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم
بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما
لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ٭ ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد
ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو
اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث
عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة لنداء المعرف
باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا
بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من
المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد
وكل ما نادى الله تعالى عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع
واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد
بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما
تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت

الي قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيه
يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار
ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو مشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة
عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث
لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن الذين امنوا ازديادهم وثباتهم عليها • وانما قال ربكم تنبيها على ان
الموجب للعبادة هو الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا • والخلق ايجاد الشي على تقدير واستواء واصله
التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم**
متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله • ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم
من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته
تاكيدا كما اقحم جرير في قوله • يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا
ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار
الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شي سوى الله
الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا • يرجون رحمته ويخافون عذابه • او من مفعول خلقكم
والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح
امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا قيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقون كما قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان
الطريق الى معرفة الله تعالى العلم بوحدانيته واستحقاقه النظر في صنعته •
والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت
عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي
جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره

فلا تجعلوا لله • وجعل من الافعال العامة تجري على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله • فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب •
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير
فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا • والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء على ما في
طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهياة
لان يقعدوا او ينا موا عليها كالفراش المبسوطة وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية
شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة
عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم**
عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممتزجة منها او ودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة
قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع
وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ما ليس في انشائها دفعة • ومن
الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ
من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير
الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو السماء فينعقد سحابا ماطرا • ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من
السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعله كل المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق كقوله انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة
لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا
من الثمرة على التوحيد ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات
وعيون وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة
رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوليه ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا
لله اندادا** متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له

او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب فاطلع الحاقا
لها بالاشيا الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له ندا او
بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه ولا تجعلوا والفا
للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام
والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي
ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله
لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها
ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم
من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا
قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

اربا واحدا ام الف رب … ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا … كذلك يفعل الرجل البصير

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا الله اندادا ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم
انكم من اهل العلم والفطن واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي
وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سوا في التكليف واعلم ان مضمون
الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة
والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة
لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم
من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول
والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته
رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه
الظاهر وسيق فيه الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسما والعقل بالما وما افاض عليه
من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج ۝

وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية
الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل
حد مطلعا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** لما قرر ۝
وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعارة والمعاداة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه
من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى
عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة
والزاما للحجة واضافة العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد
لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته ۝ والسورة الطائفة من
القران المترجمة التي اقلها ثلاث وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة
لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتوا سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة ۝ قال ———

ولرهط حراب وقد سورة … في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري او لها مراتب في الطول والقصر ۝
والفضل والشرف وثواب القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية
او القطعة من الشي والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال
وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة
نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها
اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم
ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد **من مثله** صفة سورة اي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة
مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتدا اي بسورة كائنة ممن
هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا ۝
والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة من مثله
ولسائر ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه اذ لا ينفك عنه ليتسق
الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابنا

جلد تهدّى ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأتوا بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز
في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبده يوهم امكان صدوره ممن
لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله **وادعوا شهداءكم من دون الله** فانه امر
بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم
بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في
سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من
ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء
الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى
ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق • اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم
او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي بمثله
الا الله وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا •
تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة
او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية •
التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد
ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح
فساده وبان اختلاله **ان كنتم صادقين** انه من كلام البشر وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله • والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن
دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه
وهم ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة** لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به
وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته

وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب
فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم
الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء ووضع فاتقوا النار موضع اتركوا العناد تهويلا
للعناد وايثارا للكناية وهي من شعب البلاغة منزلته على سبيل الكناية تقريرا
للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان التي للشك والحال يقتضي اذا التي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في
عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم
على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها
واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك
ساغ اجتماعهما • ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند
الفراء لا فابدلت الفها نونا • والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد
جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم
بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر
ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس
والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي
نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم • وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون بهما وعلى هذا
لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه • وقيل حجارة الكبريت وهو
تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد بما لا تتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن
عباس رضي الله عنهما فلعله عنى به ان الاحجار كلها كحجارة الكبريت لسائر النيران
ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها
الناس والحجارة وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون
قصة معلومة **اعدت للكافرين** هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير

الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي لايتبين ما يدل على
النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته
والتجاوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به
فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية
من ان يشفع الترغيب بالترهيب لاكتساب ما ينجي وتنبيطا على اقتراف ما يردي
لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه
او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر
ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي
ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او
كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة
تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء ان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم **وقرئ**
وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار
فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى
لو قال الانسان لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم
ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات
الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة … من آل لام بظهر الغيب تاتيني

وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة
واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا الحكم عليهما اشعارا بان السبب
في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا اعتداد بأس

لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان
اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع
الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من
الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه
للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال

كان عيني في غربي مقتلة … من النواضح تسقي جنة سحقا

اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب
لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان
على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة
على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب
عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان
يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق
بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مومن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام
لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء
بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار
النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار
المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها
ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري نفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله
تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا**
الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة
كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس
اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية
للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا
مبتدئا من الجنات مبتدئا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدئا من الجنان وابتداؤه

منها بابتدائية من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره ح
المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت اسدا وهذا
اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به
العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة
الى عينه والمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك
ابو يوسف ابو حنيفة من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل
النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره ويتبين
مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك
وفي الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون
واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الحالة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته
على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول في كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك
فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول
راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره
قوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما
قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه
بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق
التشابه هذا وان للاية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا
في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون
المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية
وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد
ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق
والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلات وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدو

فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء
بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله تعالى والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه
كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح
التوالد وحفظ النوع وهو مستغنى عنهما في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات
وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى
تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون والخلد
والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل اثافي خوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان
التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم
وقف مخلد يوجب اشتراكا ومجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه
فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات
والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا تعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاربة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها من بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله
على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم
اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد
لهم في الاخرة باحسن ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل
على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة**
لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه
وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها
التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار
اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس

ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل
مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغا واشارات الحكما فيمثل
الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل
في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفها
باثارة الزنابير وجا في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ
البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقد
واصحاب عبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل
من الذباب واخس قدرا منه الله اعلا واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب
عليه وعيد من كفر به ووعد من امن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به
فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي
ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط
بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية
فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه
واذا وصف به البارى تعالى كما جا في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد

وانما عدل به الترك فيما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان تكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم
واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع
فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان
تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعو
منه

عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة اوهما
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر
ان تكون موصولة لحذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا
لانه لما ردا استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب بها المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما
يهب ما دينار وما ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه
ما زاد عليها في الخسة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه
والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا
ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي
الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة
في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما
اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل ويوكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفا قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفا على الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملة به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على
قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم
الاعيان الثابتة والافعال الصادقة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت
ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينته ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي والمجموع
خبرهما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما
اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال

والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث تحملها عليه ويقال للقوة اي هي مبدا
النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى
به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال
غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل
والوجه الاصلح فانه يدعوا القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل
مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا منصوب على التمييز او الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا اي اضلال
كثير وهدى كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده
والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال
تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال

ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن
القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر
الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالث
الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة
الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب
عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم
عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى
رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على

البنا

البنا للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة الفاسقين
للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان
اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه
وهو ان العهد حبل في ثبات الفضلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم
يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد
الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال الدار من حيث
انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم
رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه
اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة
عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلما بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه**
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله
عهده من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى
المصدر ومن للابتدا فان ابتدا النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات
المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد
المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو
وقيل مع الاستعلا وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر
فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن
لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالنهي عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع
الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا
باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار
والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشترا
النقض بالوفا والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** استخبار

فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان
صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال
والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم
على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك
والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حياة لها عناصر
واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح
ونفخها فيكم وانما عطف بالفا لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي اجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ الصور او
للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون
اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان **قيل** ان علموا
انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انهم يحييهم ثم اليه ترجعون
قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة
العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم
اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين
فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على
الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم
واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية
المنعم فان **قيل** كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر **قلت** لما كانت
وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي
الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع
من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة واحدة من الجمل فان
بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة
لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا
اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة
الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان
حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان
من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازايها

يقال

يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله
يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه واذا وصف بها الباري تعالى
اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته
يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التا في جميع القران **هو الذي**
خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم
احيا قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاوهم وتتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير
وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا
على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل
ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشيا النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا
الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني
ثم استوى الى السما قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي واصل الاستوا طلب السوا واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزا ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام
وقيل استوى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق … من غير سيف ودم مهراق

والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسما
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السما على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على
خلق ما فيها عن خلق السما وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض
فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك
لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير
السما ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم
ربه رجلا **سبع سموات** بدل الجمع وتفسير فان **قيل** اليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك **قلت** فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه
ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شي عليم** فيه تعليل كانه
قال ولكونه عالما بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدل

بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب لانيق كان عليما فان اتقان الافعال
واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لايتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة
لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاوها واتصلت بما يشاكلها
كيف يجمع اجزا كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شي منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها
فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبتنية على ثلاث مقدمات قد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان
مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها
قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها
وبمواقعها قادر على جمعها واحيايها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدايهم
وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيايهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو
عمرو والكسايي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد **واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم
واكرامه وتفضيله على ملايكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف
وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك تجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها
بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما
من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله واذكر اخا عاد ونحوه فعلى تاويل اذكر
ذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا
او اذكر على التاويل المذكور لانه جا معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون
الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخل
في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملايكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل في جمع شمال
والتا لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين
الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم

الحكما انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم
شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملايكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السما الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل
اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها
فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل من
جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد
على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والها
فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة
به تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبيا لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم
اعلا رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلوات الله وسلامه عليه
ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك
او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه وبيان ان الحكمة
تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما
يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى
ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلا من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا باخبار من الله او تلقي

من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين
على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم
والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلا والشن في الصب عن فم
القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من
سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك**
ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود بذلك الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا
اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة
ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها
سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا
صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى
والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو
المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون**
والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في
الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة
وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه
ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادم
بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا
او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب

من العقب

من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه
الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى
سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال
على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او
الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقفة على العلم
بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
آلاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليه ضمنا اذ
التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه
وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او
مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة
والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب
التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما **ان كنتم**
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما
يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا
الاعتبار يعتري الانشاءات **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف بالعجز
والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي
عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم
ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا
يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى
التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصديرهم به اعتذار عن الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك
تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين **انك انت العليم**
الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة

الكلام

وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت
اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل
مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى
لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة
علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان
يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على
العبادات وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان
لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون
من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم
وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم
وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة
لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما
انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه
واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف
الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة
المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود
في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال
وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة
على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى

وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون
انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني
والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا
فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان

اليس اول من صلى لقبلتكم ... واعرف الناس بالقرآن والسنن

او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط
به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة
منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او تعظيمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه
خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار
منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا
يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس
كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه ولا يرد على ذلك قوله تعالى
الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس
رضي الله عنهما روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم
انه لم يكن من الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورين
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من
ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم
عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض
والصفات كالبررة والفسقة من الجن والانس يشملهما فكان ابليس من هذا الصنف
كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله
كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ولا يقال كيف يصح

ذلك والملايكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة رضي الله عنها انه
عليه السلام قال خلقت الملايكة من النور وخلقت الجن من مارج من نار لانه
كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوء
النار مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة و
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتي نكصت عادت
الحالة الاولى جذعة ولاتزال تتزايد حتي ينطفي نورها ويبقي الدخان الصرف وهذا
اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد
الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الي الكفر والحث علي الايتمار
بامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه
يتوفي علي الكفر هو الكافر علي الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا
وهو الموافاة المنسوبة الي شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله **وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة** السكني من السكون لانها استقرار ولبث وانت
تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها علي
انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد
ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط علي الانتقال منه
الي ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها
صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما
ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفايتة
للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق
النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها علي ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضي العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي
ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل
بالكرامة والنعيم فان الفا تفيد السببية سوا جعلته للعطف علي النهي او الجواب
له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولي ان لا
تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقري
بكسر الشين وتقربا بكسر التا وهذي باليا **فازلهما الشيطان عنها** اصدر

زلتهما عن الشجرة وحملهما علي الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته
عن امري او ازلهما عن الجنة بمعني اذهبهما ويعضده قراة حمزة فازالهما وهما متقاربان
في المعني غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك علي شجرة الخلد وملك
لا يبلي وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك
او القاه اليهما علي طريق الوسوسة وانه كيف توصل الي ازلالهما بعدما قيل اخرج منها فانك
رجيم فقيل انه منع من الدخول علي جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملايكة ولم يمنع ان يدخل
للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتي دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا**
خطاب لادم وحوا لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس
فكانهما الجنس كلهم او لهما ولابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها
مسارقة او من السما **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو
بالضمير والمعني متعادين يبغي بعضكم علي بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر**
موضع استقرار او استقرار **ومتاع** تمتع **الي حين** يريد به وقت الموت او القيامة
فتلقي آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا
ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات علي انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالي جدك لا
اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلي قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلي قال الم
تسكني جنتك قال بلي قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي الي الجنة قال نعم واصل الكلمة
الكلم وهو التاثير المدرك باحدي الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب
عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفا علي تلقي الكلمات لتضمنه معني
التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم علي ان لا يعود واكتفي بذكر ادم لان
حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النسا في اكثر القرآن والسنن **انه هو التواب**
الرجاع علي عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم علي التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف
بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع من
العقوبة الي المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب
بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود

فان الاول دل علي ان هبوطهم الي دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني
اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدي الهدي نجا ومن ضله هلك والتنبيه
علي ان مخالفة حكم الله تعالي فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان
كل واحد منهما كفي به نكالا لمن ان يذكر وقيل الاول من الجنة الي السما الدنيا والثاني منها الي
الارض وهو كما تري وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعني كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعي اجتماعهم علي الهبوط في زمان واحد كقولك جاوا جميعا **فاما ياتينكم
مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع
جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل
بالنون وان لم يكن فيه معني الطلب والمعني ان ياتينكم مني هدي بانزال او ارسال
فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدي كاين لانه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما
اتي به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف
عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
علي المتوقع والحزن علي الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب علي آكد وجه وابلغه
وقري هدي علي لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف علي من تبع الي اخره قسيم له كانه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الي الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال
للمصنوعات من حيث انها تدل علي وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات
القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوي
اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها علي غير قياس او اوية او ايية كرمكة
فاعلت او آيية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما
يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة علي عدم عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من وجوه الاول ان ادم عليه الصلاة والسلام كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون
لقوله تعالي الا لعنة الله علي الظالمين الثالث انه تعالي اسند اليه العصيان والغي
فقال وعصي ادم ربه فغوي الرابع انه تعالي لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم
عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما

والجواب

جري والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينيذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني
ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولي له واما
اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شا الله تعالي وانما امر
بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجري عليه ما جري معاتبة له علي ترك الاولي ووفا بما
قاله للملايكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالي فنسي ولم نجد له عزما
ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن
الانبيا لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاوليا ثم
الامثل فالامثل او ادي فعله الي ما جري عليه علي طريق السببية المقدرة دون المواخذة
كتناول السم علي الجاهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالي ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
وقاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل علي انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل
مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالي الي ان نسي
ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه الصلاة والسلام اقدم عليه
بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الي عين تلك الشجرة فتناول
من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الي النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان علي ذكور امتي حل لاناثها وانما جري عليه
ما جري تعظيما لشان الخطيية ليجتنبها اولاده وفيها دلالة علي ان الجنة مخلوقة
وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدي مامون العاقبة وان عذاب
النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالي هم فيها خالدون
واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة
تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل علي محدث حكيم له الخلق والامر
وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها علي ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها
ولم يمارس شيا منها اخبار بالغيب معجز يدل علي نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها علي
خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل علي انه قادر علي الاعادة كما كان قادرا
علي الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا
بعهوده في اتباع الحق واقتفا الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد صلي الله عليه وسلم وما انزل
عليه فقال **يا بني اسرايل** اي يا اولاد يعقوب والابن من البنا لانه مبني ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الي صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرايل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله وقري اسرايل بحذف اليا واسرال بحذفهما
واسراييل بقلب الهمزة يا **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها

والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر
الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله
به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا
يحرك الياء المكسور ما قبلها **وأوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **أوف بعهدكم**
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب
ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي
الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث
يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس
اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم
اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول
والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات
وقرئ أوفّ بالتشديد للمبالغة **وإياي فارهبون** فيما تأتون وتذرون وخصوصا
في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقدم من تكرير
المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم
راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد
ودالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه
المقصود والعمدة للوفا بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب
الالهية من حيث انها نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث
ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به

بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا أول كافر به** بأن الواجب ان تكونوا أول
من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد
منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما
انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر
بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل
اصله أوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اوول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا
فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول
الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **وإياي
فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب
بالاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك وبالثانية لما خص اهل
العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله
واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل
الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من
لم يسمعه او نصب باضمار أن على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين فانه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وانتم تعلمون** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح
اذ الجاهل قد يعذر **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** يعني صلاة المسلمين وزكاتهم
فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب
بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال
من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة
تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة

بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم
الشارع قال الاضبط السعدي ۞ لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد
رفعه ۞ أتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير
من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله
تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار
المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه
وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت
كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة
القول العمل أفلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او فلا عقل لكم يمنعكم عما
تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه
يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان
فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه
شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ۞
ليقيم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب
الاخر واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق
عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو
صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق ۞
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين واظهار الخشوع
بالجوارح واخلاص النية بالقلب حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب
روي انه عليه الصلاة والسلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء
وانها اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها
واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة
شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي

المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون
انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان
الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال الاوس
بن حجر ۞ فارسلته مستيقن الظن انه ۞ مخالط ما بين الشراسيف جائف ۞
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة
في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال
عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم
عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين
كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل
الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا
لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا
تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكأنه اريد بالاية
نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما
باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل
الفدية وقيل البدل واصله التسوية سميت به الفدية لانها سويت بالمفدى
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية
المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي
والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه

الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات
والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا
لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون**
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل
وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولي الخطر كالانبيا والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى
وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام
ريان وكان بينهما اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا
اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** افظعه فانه
قبيح بالاضافة الى سايره والسوء مصدر ساءه يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما لان فيها ضمير كل واحد
منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم
يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم لان فرعون راى في المنام او
قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيا
وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير به لكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء
واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق
عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما **من
ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما
عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما اصيب العبد من خير او شر اختبار
من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه
مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا
الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد
الاسباط **فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** اراد به فرعون وقومه
واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اوليهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول
اللهم صل على محمد اي شخصه واستغنى بذلك عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون** ذلك
او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم
التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ب

بني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله
تعالى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل
ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم
انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في
الفطنة والذكا وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع
ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضايل المجتمعة فيه
الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكيا واخباره عليه
السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره **واذ وعدنا موسى اربعين
ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور
وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعد
الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا
من بعده من بعد موسى او مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا
عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اي
الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان** يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل
وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر
والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا
بتدبر الكتاب والتفكر في الايات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم** فاعزموا على التوبة والرجوع
الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضكم من بعض بصور وهيآت مختلفة واصل
التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه
والمديون من دينه او الانشاء كقوله برا الله ادم من الطين او **فتوبوا فاقتلوا
انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم
ينعمها ومن لم يقتلها لم يحييها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم

يعني العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله
فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى
دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا
والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم**
من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب**
عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته كلام موسى عليه السلام تقديره ان فعلتم
ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على
طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ
وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد
منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه هو التواب الرحيم** الذي يكثر
توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى**
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا
والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه
والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي **فاخذتكم الصاعقة**
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا
رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحوال المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان
يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء في بعض
الاحيان في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
بحسيسها فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** ما اصابكم بنفسه او
اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد
يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناكم **لعلكم تشكرون** نعمة البعث
او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** سخر الله لهم
السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن والسلوى**
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث
الجنوب عليهم السماني وينزل في الليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم** على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار

واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون**
بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** يعني بيت المقدس
وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه
على المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام **سجدا**
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي
مسئلتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل
بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها **نغفر لكم خطاياكم** بسجودكم ودعائكم
قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائي كخطائع فعند
سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة
للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة **فبدل**
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره مبالغة في تقبيح
امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على
انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا**
يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه
وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به
في ساعة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا
حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط
وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع
الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه
به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره
ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها

تطيعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا
عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت**
منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب
فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا**
على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل به ما ينبت به **ولا تعثوا في الارض مفسدين**
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام
وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال
هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان
يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد
ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد به ما رزقوا في
التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة
الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا
طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا**
ربك سله لنا بدعائك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه لانه جواب فادع فان
دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة القابل
مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز فوموا لنا وقيل
وقرئ قثائها بالضم وهي لغة فيه **قال** اي الله او موسى **اتستبدلون الذي**
هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة
كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادنا
من الدناءة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين
وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير

منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سألتم**
وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت
عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود
في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف
جزيتهم **وباؤوا بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء
فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة
الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون**
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من
جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت
محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما
حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا**
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر
بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما
ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة
على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة
بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير
قول رؤبة يصف البقر فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعهما وتانيثهما
ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين آمنوا** بالسنتهم
يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين
وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا يقال هاد
وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا
من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه
السلام **والنصارى** جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري
سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او نصرة فسموا باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين النصارى والمجوس

وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب
وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة
او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا
بقلبه وبالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا
خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعد
لهم على ايمانهم وعملهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار
من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء
لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها
لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم
يتوبوا فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا ميثاقكم** باتباع موسى والعمل بالتوراة ۝
ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما
آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** ادرسوه ولا تنسوه
وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا
المعاصي ورجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف
اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثم توليتم من بعد ذلك** اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد اخذه **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله
عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** المغبونين بالانهماك في
المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند
سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الحذف عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت** اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام
واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة
واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى

تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** جامعين بين صورة
القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة **فجعلناها**
اي المسخة او العقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر
الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها
من ذنوبهم وما تاخر عنها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل متق سمعها **واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** اول هذه القصة قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع
آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله **قالوا أتتخذنا هزوا** مكان هزء او اهله او مهزوا بنا
او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل
عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا **قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين** لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على
طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له **قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي** اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف
هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء
من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله **قال انه يقول انها
بقرة لا فارض ولا بكر** لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض
وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة
عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون **بين ذلك** اي ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء
تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن

وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم
انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير
الثابت بالنص والحق جوازه تمما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه
عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد
الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله **فافعلوا ما تؤمرون**
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله • امرتك الخير فافعل ما امرت به • او امركم
بمعنى مأموركم **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها**
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر
فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها
فضل التأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر اولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة
وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع **تسر الناظرين** اي تعجبهم
والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر **قالوا ادع**
لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله **ان البقر**
تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء
والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة ومتشبه
وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة
والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق **قال انه**
يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب
وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد
الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول
بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو ولا تسقي من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص

له **لا شية فيها** لا لون فيها غير لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا آخر **قالوا الآن جئت بالحق** اي بحقيقة وصف البقرة
وحققتها وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها **وما كادوا يفعلون**
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا
صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتها لابني حتى يكبر
فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
على جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر
حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر
الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم
ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ
الى الفعل **واذ قتلتم نفسا** خطاب الجمع لوجود القتل فيهم **فادارأتم فيها** اختصمتم
في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه
الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله**
مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل
باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على ادارأتم وما بينهما
اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل **ببعضها** اي بعض كان
وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب **كذلك**
يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل
او نزول الاية **ويريكم آياته** دلائله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل
عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله
تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم
والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
عنها نشوة الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيي حياة طيبة

ويعرب عما به ينكشف الحال وينقطع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست
قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن
الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات
فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها
في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما
لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل
على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى
منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل
فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل
انقيادا لما اراد الله وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية
مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها
وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير
ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان
فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت
محمد عليه السلام وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم
يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء
ومقلديهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوه
فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا
منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد
عليه السلام والذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء
ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله

وحكمه

وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما
عند ربكم او بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ
الاخفاء لا يدفعه افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجو
نكم به فيحاجوكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم
والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعون التوراة
ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره
الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى
ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من
ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا
ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله

تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون
لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه
كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق بشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوا فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولهم
كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا
من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل
لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال
المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة
وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون
وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب
شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف

في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى
أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل تقولون على
التقرير والتقريع بلى إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا
على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة
قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة
تغلب فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم وأحاطت به خطيئته أي استولت
عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما
يصح في شأن الكافر لأن غيره إن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة
به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره
إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب
وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة
سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين
أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته
على القلب والإدغام فيهما فأولئك أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون
أسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون أو لابثون لبثا طويلا والآية كما
ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى أن يشفع وعده
بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه من مسماه
وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع
إلى الانتهاء فهو يخبر عنه وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة
القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف
الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع
وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا
وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم
وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا للناس حسنا

اي

أي قولا حسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة
الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم
على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من أقام
اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن
الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد
به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء عن الوطن وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه
لاتصاله به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم
وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق
واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل
وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا ثم
أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ
وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا
نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى
عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل
فيها معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين
والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم
بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر
وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى التاءين وقرئ بإظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون
وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء
الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد
من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون
لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجرحى وجريح وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا
جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر
تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما
بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم وتفسيره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون

من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء
وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلا فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
في الحياة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيي منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب
لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي ان الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم
وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
وعاصم في رواية ابي بكر صح
بالاخرة اثروا الحياة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب
اي التوراة وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا
تترا يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا
عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل
وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب
وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على
تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف
على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء
للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او
للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية
العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق

ولكن

ولكن الله خذلهم بكفرهم وابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه
بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن
اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة
العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم
وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف
دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التوراة او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا
وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم
لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا
لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس
المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم
بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفرون واشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل
او حسدوه على ان ينزل الله من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم
بمحمد بعد عيسى او بعده قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم
بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم
الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة ويكفرون بما وراءه
حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد
من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة
تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان
بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون
عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه

الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال
بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا
لابطال قولهم نومن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا
اي خذوا ما اتيناكم امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي
بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم
المعدودة في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين القدح في دعواهم
الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مومنين بها لم يامركم بهذه القبائح ولا يرخص
لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مومنين بها لبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن
ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن لا ايمان لكم بها لا يامركم به فاذا لستم مومنين
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين
واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة
اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي
سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم
انها سالمة لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات
النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا
تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات
مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم

وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص
الناس على حياة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حياة
لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول
على المعنى وكانه قال احرص الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان
حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما
زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى
النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر
مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا
عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت فكان اصله لو
اعمر اجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من
العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من العذاب تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس
اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات
قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء
وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئيل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين
واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه
عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل
على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى ذكره على قلبك فانه القابل الاول

تجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا
مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به
بين المرء وزوجه من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا
باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ
بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم
لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم
به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود
لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله فالاظهر ان اللام لام الابتداء
علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد لقسمي العقل الغريزي والعلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان
من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك
المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على
ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة
كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب
الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا
وتأن بنا فيما تلقينا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته
الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها
وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع
للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا
وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه
وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون

انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن
للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير من ربكم
مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم
يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم
ذلك والله يختص برحمته من يشاء اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده
ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت
لما قال المشركون واليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر
بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء
التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب
وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك
او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسأ
وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها
باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب
او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير
الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت
والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف
الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من
منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة هو المأتي به بدلا والسنة ليست
كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث
القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق
بها المعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو
وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات
والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم
ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد
يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة

للتقرير في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادر على الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد
أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى أو منقطعة والمراد أن يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل عليهم كتابا
من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل من ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان ومعنى الآية لا تقترحوا
فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال إلى البعد عن المقصد بتبديل الكفر بالإيمان وقرئ
يبدل من أبدل ود كثير من أهل الكتاب يعني أحبارهم لو يردونكم أن يردوكم فإن لو
تنوب عن أن في المعنى دون اللفظ من بعد إيمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند أنفسهم يجوز أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم
وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق وبحسدا أي حسدا بالغا المذكورة في التوراة
فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بأمره
الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وإجلاء بني النضير وعن
ابن عباس أنه منسوخ بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق إن الله على كل شيء قدير
فيقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على فاعفوا كأنه أمرهم
بالصبر والمخالفة والالتجاء إلى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة أو
صدقة وقرئ وما تقدموا من قدم تجدوه عند الله أي ثوابه إن الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لأهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى لف بين قولي
الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى ثقة بفهم السامع وهودا جمع هائد
كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك أمانيهم إشارة
إلى الأماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا وأن لا يدخل
الجنة غيرهم أو إلى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم والجملة
اعتراض والأمنية أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى
إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله أخلص له نفسه أو قصده
وأصله العضو وهو محسن في عمله فله أجره الذي وعد له على عمله عند ربه
ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت

موصولة

موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف
عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء أي أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم
والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام
والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فإن قيل لم وبخهم وقد صدقوا
فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد به كل فريق
إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب
القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم
ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا أو سعى
في تعطيل مكان مرشح للصلاة وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
أهله أو المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية أن يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم أو
التعطيل أولئك أي المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ما كان ينبغي لهم
أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلا أن يجترئوا على تخريبها أو ما كان الحق أن
يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم
في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد
أنجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الأئمة فيه
فجوزه أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا
خزي قتل وسبي وذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجدا
فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله أي جهته
التي أمر بها فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أي عالم مطلع
بما يفعل فيه إن الله واسع بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها وعن ابن عمر أنها نزلت في صلاة المسافر

على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك
وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ
الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا
العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقراء ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة
وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه
خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون
منقادون لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه
الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير العلم
وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف
اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية
فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه
واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات
الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعها ونظيره السميع
في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة
رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع
اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل
من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيا واصل القضاء اتمام
الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على
تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير
لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله
تعالى يستغني عن ذلك ولعل سبب هذه الضلالة ان ارباب الشرائع

المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب
هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد
به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما
لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا
اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به
وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا
الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد
وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا
وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا
وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب
لا تسأل على انه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم
لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع
خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا
منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم
ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو
الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة
والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى
راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب
يريد مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا
اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر
بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا
تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

ما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه
فذلكة القصة والمقصود من القصة **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** كلفه
باوامر ونواهي والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن
لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني
فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون
العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المومنون الى قوله اولئك
هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وبالعشر
التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على
انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ
ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات مثل ربي كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا
ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام **فاتمهن** فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله
تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه **قال اني
جاعلك للناس اماما** اذا اضمرت ناصب اذ كان قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن
فاجيب بذلك او بيانا لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل
من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يوتم به وامامته عامة موبدة اذ لم يبعث
بعده نبي الا كان من ذريته ماموا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف اي
وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت
راوها الثالثة يا كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة **قال لا ينال عهدي الظالمين** اجابة
الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها
امانة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل
على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون
والمعنى ان كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة غلب عليها كالنجم على
الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد **وامنا** وموضع امن لا يتعرض لاهله

كقوله

كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يا من حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج
يجب ما قبله او لا يوخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة **واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى** على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف
على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب
ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى الناس
الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد
عمر وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال صلى الله عليه وسلم لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج
واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة يصلون اليها **وعهدنا
الى ابراهيم واسماعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن
العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه **للطائفين**
حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او المعتكفين فيه **والركع السجود** اي المصلين جمع راكع
وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** يريد البلد او المكان **بلدا امنا** ذا امن كقوله في عيشة
راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم
الاخر** ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر** عطف على من امن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية
تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا متضمن معنى الشرط **فامتعه
قليلا** خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الزه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع
وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير**
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت** حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة

الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البنا فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناها
وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعا الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها
تفخيم لشانها واسماعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البنا عطف عليه
وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة
حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان
التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما
خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم
لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة
امة محمد عليه السلام ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين
وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا
من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او
مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا
وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد
صلوات الله وسلامه عليه فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز ۝
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم
استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغرا اي لا يرغب احد
عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن
رايه والم راسه وقول جرير ۝ وناخذ بعده بذناب عيش ۝ اجب الظهر ليس له سنام ۝

او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير
في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه
او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين
دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها
نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى
مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل
الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع
وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بنيه
وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين
متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره ۝ رجلان من ضبة اخبرانا ۝ انا راينا
رجلا عريانا ۝ بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحاق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا
وشيسوخور وزبولون وذوني ونفتوني وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف ان
الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا
على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب
الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم
غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه
من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وكما

وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء من اذا سيل عن تعيينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله اباىك
ابراهيم واسمعيل واسحاق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته ع
وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم
الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا ٭ بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية
ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت
يعني ابراهيم واولاده لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه
الصلاة والسلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مايلا عن الباطل
الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما
كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا
القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم
لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان
القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او
ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق وما اوتي موسى وعيسى التورية
والانجيل افردهما بالحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق ٥
النزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم
منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض

واحد

واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون
مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز ٥
والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين
الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق
مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة
بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به وان تولوا فانما
هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق
وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم
الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع
العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او
وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ع
صبغة الله اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر
قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها
على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن
من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك
به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا
ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم
وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء
كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم
يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا
كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة [illegible] من الله
على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي
بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له
مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى أم منقطعة
والهمزة للإنكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل أن تكون معادلة
للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية
على الأنبياء قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله ما كان إبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقا ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى
لا أحد أظلم من أهل الكتاب لأنهم كتموا هذه الشهادة أو منا لو كتمنا هذه الشهادة
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله
براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك أمة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير
والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم
وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة في الأول الأنبياء وفي الثانية أسلاف
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف أحلامهم واستمهنوها
بالتقليد والإعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الأصل الحال التي عليها الإنسان
من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما العبرة بارتسام
أمره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة
وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى وكذلك إشارة إلى
مفهوم الآية المتقدمة أي كما جعلناكم مهتدين إلى صراط مستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل
القبل جعلناكم أمة وسطا أي خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الأصل اسم
المكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين
طرفي إفراط وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق
على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف
بها واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل أي لتعلموا
بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم

بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع
الشهوات والإعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم أو بعدكم
روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم
بهم إقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم
من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما
كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
يكون الرسول شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها وهي
الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة
تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل
الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الأول قبلتك بيت المقدس إلا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه إلا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتد
عن دينك إلفا لقبلة آبائه أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الأول معناه ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت على الإسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه فإن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل
وهو لم يزل عالما قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسند إلى نفسه لأنهم خواصه
أو لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم إما بمعنى المعرفة أو معلق
لما في من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه أي لنعلم من يتبع الرسول
متميزا ممن ينقلب وإن كانت لكبيرة إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال
الكوفيون هي النافية واللام بمعنى إلا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة من الجعلة
أو التولية أو التحويلة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة إلا على الذين هدى الله
إلى الحكمة والأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم
على الإيمان وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة أو صلاتكم إليها لما روي أنه عليه الصلاة
والسلام لما وجه إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت
إن الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو أبلغ
محافظة على الفواصل قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء
تطلعا للوحي وكان صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة

لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوف
اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد
الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال وممنوع
عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة
والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي
انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة
ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا
للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم
بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين
والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا
في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق
وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما
للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب
عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه او للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر

انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال
ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثنا لمن امن الحق من ربك كلام مستانف
والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الى ما عليه
الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما
لا يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر
بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك
فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة
ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل
وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبرا
لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجز
ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحيا
والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام
اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته
وجري العادة الالهية ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها
ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله
تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد
امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا
والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة
قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم
ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة

لا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم
داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة
في نفي الحجة راسا كقوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرى الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا
تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم
نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادة
اهتداكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او ليلا
يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على
الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم
في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده كما ذكرتكم بالارسال
فاذكروني يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي
ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفوس والصلاة التي هي ام العبادات
ومعراج المومنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة
الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء
بل هم احيا ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد
ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن
ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح
كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والاية نزلت في شهدا
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة
لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه
نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون
على البلا وتستسلمون للقضا بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله
بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة

الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي
الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ولمن
تتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة
والسلام كل شيء يوذي المومن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر
به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل
الدعا ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون
للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضا الله ان الصفا والمروة هما علما
جبلين بمكة من شعاير الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج
البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت
وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف
على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جا الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه
مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن
عباس لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل
على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم
وعن الشافعي ومالك رحمهما الله انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه
من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى
او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف

فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه شيء ان الذين يكتمون كاحبار
اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عليه الصلاة والسلام
والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه
في الكتاب في التوراة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بين الله في كتابهم لتتم
توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحو سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة
وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكتمان
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة
الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة
والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم
اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى
الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا
يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله
الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت
باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد
الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف
الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب
لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل والجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل
الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على

انزل

انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا
فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف
الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين
السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يسحب بعضا
لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه
عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة
هذه الايات على وجود الاله ووحدانيته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام
المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة
اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها
وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على
هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على
ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه
اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع
مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن
الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة
القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته
والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة
وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف
محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا
يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون
العذاب اذ عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله
ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف

اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل
هو متعلق الجواب والمفعول لان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم
لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب
ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن
عامر اذ يرون على البنا للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب
على الاستيناف واضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون
اي اذ تبرا المتبوعون من الاتباع وقرى بالعكس اي تبرا الاتباع من الروسا ورأوا
العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم
الاسباب يحتمل العطف على تبرا او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل
التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل
السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرى تقطعت على البنا للمفعول وقال الذين
اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبروا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفا
اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الارا الفظيعة يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل رأى ان كان من روية القلب
والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة
في الخلود والاقناط عن الخلوص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة
مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه
الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة
بتسكين الطا وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرى بضمتين وهمزة
جعلت ضمة الطا كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك
سماه في قوله اولياوهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته
ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه على الشر تسفيها لرايهم
وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشا لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه
الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات

وفيه

وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند
الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت
الى العقلا وقال لهم انظروا الى هولا الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
ما وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات
فجنحوا الى التقليد وقيل في طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم
ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف
اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل
على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه
محق كالانبيا والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل
داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان
الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما
يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس
بالندا ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع اباهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء
ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع
على الخبر فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم
امر المومنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبا عظيم واعبد غيري
وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكاة والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثني الشرع والدم ولحم الخنزير
انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوانات وسائر اجزائه كالتبع له وما اهل
به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية الهلال لكن

لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا روي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع
الصوت وان كان بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد
الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رحمه الله وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم
من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر
حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا
ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيامة
الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه
كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن
غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم
لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما
اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق
فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه
اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة الى
التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل
الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام
علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب
فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته
واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر
العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به

بر من آمن بالله او لكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن
والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام
لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى وقيل
الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد
المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاهم اثنتان صلة
وصدقة كما قال عليه السلام والمساكين جمع مسكين وهو الذي اسكنته الخلة
واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته
السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين
الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب
وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام
الصلاة المفروضة وآتى الزكاة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال الزكاة
المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها
ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى
الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
عطف على من آمن والصابرين في الباساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء في
الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين
واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والآية كما
ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها ۝
وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي
الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها
بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته
مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دم وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر
بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص

الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رحمهما الله قتل الحر بالعبد
سوآ كان عبده او عبد غيره لما روي علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول
صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا
يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر
بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس
له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القران
واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير
يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البنا للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جا في القران فمن عفي
له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو
كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجناية والى الذنب قال
تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه
ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة
الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق ويتعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه
باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف
فلا يعنف والمعفو عنه بان يوديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداتها على مطلق العفو وللشافعي رحمه الله
في المسالة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما
فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن
اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا
بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص
حياة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر
الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل اذا

اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكون خبرين
لحياة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الظرف المستكن فيه وقرئ
في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القران حياة للقلوب يا اولي
الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن
القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر
اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له
اراد ان يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال
الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة
الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير
فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
او على تاويل ان يوصي او الايصا ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول
كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفا كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات
الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله
اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه
بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة
لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من
توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصا المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به
الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصيا والشهود بعد ما سمعه وصل اليه
وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصا المغير والتبديل الا على
مبدله لانه الذي خاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن
خاف من موص جنفا او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج
الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور
رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يوثم يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبيا والامم
من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما

ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها
كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءها لاصالتها
وقدمها اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل فان القليل من المال يعد
عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو
عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب
عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب
على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم
ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة
من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام اذا افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع
من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر باضافة الفدية
الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى
الطاقة والقلادة ويطوقونه اي يتكلفونه اي يتقلدونه ويطوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القرآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الجهد وهم
الشيوخ والعجايز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراة المشهورة اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير
له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن
التاخير للقضا ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراة الذمة وجوابه
محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف
تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام
صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر

وجعل

وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما
للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسما الشهور عن اللغة
القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدى فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر
او انزل فيه جملة الى سما الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله
كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة
من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفا لوصف المبتدا
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب
الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل
وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين
الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه لكن وضع الظاهر موضع الضمير
الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة مخصصا له لان المسافر
والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره من ايام اخر لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ
قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص بالقضا ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخر
على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر
بالقضا وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعل
او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان
يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثنا عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل
التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم
ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب

وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب
مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداعي اذا دعان** تقرير للقرب ووعد
للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجبتهم اذا دعوني
لمهماتهم **وليؤمنوا بي** امر بالثبات والمداومة عليه **لعلهم يرشدون** راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه
الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم
تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال **احل لكم ليلة الصيام الرفث**
الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشاء او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه
وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام
الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو
الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح
ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث **هن لباس لكم وانتم لباس لهن**
استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة
المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه
شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور **علم الله انكم كنتم تختانون**
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب من الكسب **فتاب عليكم** لما تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم** ومحا عنكم اثره **فالان**
باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق
البشرة بالبشرة كني به عن الجماع **وابتغوا ما كتب الله لكم** واطلبوا ما قدره لكم واثبته
في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة
وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود**
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر

وما روي

وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض فلا يزالون ياكلون
ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى
وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا **ثم**
اتموا الصيام الى الليل بيان اخر وقته واخراج الليل عنه وينفي صوم الوصال **ولا تباشروهن**
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطء عن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع
فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد
وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد **تلك حدود الله**
اي الاحكام التي ذكرت **فلا تقربوها** نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله عز وجل
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان
يريد بحدود الله محارمه ومناهيه **كذلك** مثل ذلك التبيين **يبين الله اياته للناس**
لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** اي ولا ياكل
بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال
وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا
تلقوا حكومتها الى الحكام **لتاكلوا** بالتحاكم **فريقا** طائفة **من اموال الناس بالاثم** بما
يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم **وانتم تعلمون** انكم
مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على
امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم تكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يحلف امرؤ القيس فهم به وقرا عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي
لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فانما اقضي له بقطعة من النار **يسالونك عن الاهلة** ساله معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا **قل هي مواقيت للناس والحج** فانهم سالوا عن الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم
يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان

فان الوقت مراعي فيه اداً او قضاً والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الي منتهاها والزمان
مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقي كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما
يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما
البر بر من اتقي المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر
انها مواقيت الحج وهذا ايضا من فعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا
يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السوال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره
جواب ما سالوا تنبيها علي ان اللايق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان
المراد به التنبيه علي تعكيسهم السوال بحال من ترك باب البيت ودخل من ورايه والمعني
وليس البر ان تعكسوا في مسايلكم ولكن البر بر من اتقي ذلك ولم يجسر علي مثله واتوا البيوت
من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه
والاعتراض علي افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالبر والهدي وقاتلوا في سبيل
الله جاهدوا لاعلا كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع
منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنسا والكفرة كلهم
فانهم بصدد قتال المسلمين وعلي قصده ويويد الاول ما روي ان المشركين صدوا
رسول الله صلي الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه علي ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة
ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر
الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتدا القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به
من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم
الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق
في ادراك الشي علما كان او عملا فهو يتضمن معني الغلبة ولذلك استعمل فيها قال
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الي خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن
بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه
شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتي يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم
فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم

حتي

حتي يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعني حتي يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بني اسد كذلك
جزا الكافرين مثل ذلك جزاوهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان
الا علي الظالمين اي فلا تعتدوا الا علي المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع
العلة موضع الحكم او سمي جزا الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفا الاولي للتعقيب
والثانية للجزا الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة
واتفق خروجهم لعمرة القضا فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر
بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو
ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدي عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدي عليكم وهو فذلكة التقدير واتقوا الله في الانتصار فلا
تعتدوا الي ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم
وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة
بالاسراف وتضييع المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو
ويسلطهم علي اهلاكهم ويويده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام
وكثر اهله رجعنا الي اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب
المال فانه يودي الي الهلاك المويد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتها الشي
في الفساد والالقا طرح الشي وعدي بالي لتضمين معني الانتها والبا مزيدة كالتصرة م
والتهلكة والتهلكة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا علي
المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
لوجه الله وهو علي هذا يدل علي وجوبهما ويويده قراة واقيموا الحج والعمرة وما روي جابر انه
قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي
ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز
ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال علي الوجدان وذلك يدل علي
انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد

لكل منهما شعرًا او ان تجرده لهما لا يشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالًا فان
احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده
والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند
ابي حنيفة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه
من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية
بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا
جا اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا
حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل
على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع
هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم
مريضًا مرضًا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية
ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه
الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع
فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع
وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل
منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة
ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم اي الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رحمه الله
او نفرتم وفرغتم وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعة بالنصب
عطفًا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى

او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلًا فان اكثر
العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق بهما
كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه
اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم الحرم او في
حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا
الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصًا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا
والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقًا فان مالكًا كره العمرة
في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين
وبعض الشهر اشهرًا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقًا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض
فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة
وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله تعالى وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب
المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاث على قصد
النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها
ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع
والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشًا كانت
تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضًا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل
مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلًا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب
فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله

فتبرأوا عن كل شي سواه وهو مقتضي العقل المعري عن شوائب الهوي فلذلك خص اولي
الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا
من ربكم عطا ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم
في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جا الاسلام تاثموا منه فنزلت
فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الما اذا صببته بكثرة واصله
افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن
ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا
ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتا المذكورة وهي ليست تا تانيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المونث او بتا مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه
من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتا بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه
نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما
اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات
للمبالغة في ذلك وهي من الاسما المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامو
بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به واجبة وفيه نظر اذ الذكر غير واجب
والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعا وقيل بصلاة العشاين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمي قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر
ويويد الاول ما روي جابر انه عليه السلام لما صلي الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب
ناقته حتي اتي المشعر فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتي اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعني عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب
منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم
كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الي المناسك وغيرها
وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة
وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعني الا كقوله وان نظنك
لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
مع قريش كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الي الناس ثم لا
تحسن الي غير كريم وقيل من مزدلفة الي مني بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام

وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله فنسي والمعني ان الافاضة من
عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك
ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباكم فاكثروا
ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابايكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمني بين المسجد ومني فيذكرون مفاخر ابايهم ومحاسن ايامهم او اشد
ذكرا اما مجرور معطوف علي الذكر يجعل الذكر ذاكرا علي المجاز والمعني فاذكروا الله
ذكرا كذكركم اباكم او كذكر اشد منه وابلغ او علي ما اضيف اليه بمعني او كذكر
قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف علي اباكم وذكرا من فعل المذكور بمعني او
كذكركم اشد مذكورية من اباكم او بمضمر دل عليه المعني تقديره او كونوا اشد ذكرا
لله منكم لابايكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الي مقل لا يطلب بذكر الله الا
الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث علي الاكثار والارشاد اليه ربنا
اتنا في الدنيا اجعل ايتانا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب
وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب
والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المراة الصالحة وفي الاخرة الحورا وعذاب النار امراة السو وقول الحسن الحسنة
في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات
والذنوب المودية الي النار امثلة للمراد بها اوليك اشارة الي الفريق الثاني وقيل اليهما
لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاوه او من اجله كقوله مما خطاياهم اغرقوا
او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعا كسبا لانه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد علي كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم
القيامة ويحاسب فبادروا الي الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام
معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق
بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم
عليه ومن تاخر في النفر حتي رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم
رميه علي الزوال ومعني نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد علي اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقي اي الذي ذكر من التخيير او الاحكام

لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منهما واتقوا الله مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد
الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة
الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها
مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة
ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يوذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه
وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان
يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف
اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل
والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يومر باتقائه لجاجا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن
الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا
يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله
رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهدا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر
والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع
والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف اجزاءها من التفرق حال من
الضمير او السلم لانها تونث كالحرب قال السلم تاخذ ما رضيت به والحرب تكفيك

من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمومني اهل
الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع
الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشي والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول
في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان
الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى
النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره وباسه كقوله او ياتي امر
ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله
عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام
السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب لان
الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة
فانهم الواسطة في اتيان امره والاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل
او الغمام وقضي الامر تم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل
لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور
قراه ابن كثير وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقراه الباقون على البنا للفاعل بالتانيث
غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبنا المفعول سل بني اسرائيل
امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السوال تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة
معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبيا وكم خبرية
او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف
العائد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اياته فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله
شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا
الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا
عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه
قراءة زين على البنا للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها

من الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا
يريد فقرا المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتدا كانهم جعلوا مبدا السخرية مبتدية
منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين
او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم
في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان
استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير
فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلا اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على
الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر
في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبيا
مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه
انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا
ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم
بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي
الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا
لاستحكامه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه
من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشا الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب
به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبيا بعد
مجي الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك
جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
الباسا والضرا بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما
اصابهم من الشدايد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة
المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية

كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطا له لتاخره الا ان نصر الله قريب
استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات
ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسالونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح
الانصاري كان شيخا كبيرا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من
من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل سال عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد
النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان
المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان
الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية
ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة
فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم
مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه
وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها
والله يعلم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة
وان لم تعرف عينها يسالونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت
قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويتبذعر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
وهي اول غنيمة في الاسلام والسايلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا
وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير
العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطا وهو نسخ العام بالخاص وفيه خلاف
والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز
مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله
من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام
كقول ابي دواد ٭ اكل امرء تحسبين امرأ ٭ ونار توقد بالليل نارا ٭ ولا يحسن
عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر على صد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على
الموصول على العطف على الصلة ولا على الها في به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية خطا وبنا على الظن وهو خبر عن الاشيا الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة
اكبر من القتل اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل
الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردوهم ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في
احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة
وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام
من الفوائد الدنيوية والاخرة لسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجا اولئك يرجون رحمت الله
ثوابه اثبت لهم الرجا اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة
بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب
يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة
قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم
وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم
فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا

عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد
شعرا فيه هجا الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير
العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام
مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلما وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به
القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله
قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور به وارتكاب
المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي
الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اي المفاسد التي تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة
للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك
لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق
والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال
للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ٭ وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا
فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم
الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب
صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على
تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة
في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم
اكثر ما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير
من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن
حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح

وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله
لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات يعم الكتابيات لان اهل الكتاب
مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا الغنوي ليخرج منها
اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال
ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا
منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين
والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله يدعو اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين الى الجنة فهم
الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين
اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر
لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل
الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك
الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك
ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا
النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن اذ حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل
الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا
يبالون بالحيض وانما وصفه باذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا

تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن
الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله
اي المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتي
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث
امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية على الوطء واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان
ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق رضي الله عنه حلف ان لا ينفق على مسطح
لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه
بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق
لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم
عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة
والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان
تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم
به وعلى الثاني ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف
بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا
به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه
كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد
التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا

كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان
وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه
الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدا خبره ما قبله او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا
يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رحمه الله لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر
ويؤيده فان فاؤا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه
اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا
الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو
حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان
قدر او الوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة
وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات
يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف
ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب
ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء
رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على
التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء
وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر
الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله
ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك
العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي

هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل
الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان
يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه
تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا
ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة
اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا
امتناع كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة
والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان
ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن
حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن
المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف فضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن
يشاركونهن في غرض الزواج ويختصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز
يقدر على الانتقام ممن خالفه في الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان
اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اين الثالثة
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك
بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق
عقب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات
روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته
اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه
بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما
عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم

على القراءة المشهورة إلا أن يخافا أي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
بالظن ألا يقيما حدود الله بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة و
ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ
تخافا وتقيما بتاء الخطاب فإن خفتم أيها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة
في إعطائه تلك حدود الله إشارة إلى ما حد من الأحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها
بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة
في التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج إليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة
سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي أنه عليه الصلاة والسلام
قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده
وإنه يصح بلفظ المفاداة فإنه سماه افتداء واختلف في أنه إذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فإن طلقها فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والأظهر أنه طلاق لأنه
فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان
تفسير لقوله أو تسريح بإحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع
مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد
ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى كل منهما كالتزوج
وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة
لما روي أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن رفاعة طلقني فبت طلاقي
وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة قالت نعم قال حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد مستفادا
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع إلى الطلاق والعود إلى المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فإن طلقها الزوج الثاني
فلا جناح عليهما أن يتراجعا أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج
إن ظنا أن يقيما حدود الله إن كان في ظنهما أنهما يقيمان ما حدده الله وشرعه

من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لأن عواقب الأمور غيب
يظن ولا يعلم ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة للتوقع وهو ينافي
العلم وتلك حدود الله أي الأحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون
بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن والأجل يطلق على المدة
وعلى منتهاها فيقال لعمر الإنسان وللموت الذي به ينتهي قال

كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله

والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية
ليصح أن يرتب عليه فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف إذ لا إمساك بعد
انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو إعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا فلا تراجعوهن إرادة
الإضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها
فنهى عنه بعد الأمر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار إذ المراد تقييده
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الأمر إنما أنت هازئ
كأنه نهى عن الهزء وأراد به الأمر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول
كنت ألعب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة
محمد عليه الصلاة والسلام بالشكر والقيام بحقوقها وما أنزل عليكم من الكتاب
والحكمة القرآن والسنة أفردهما بالذكر إظهارا لشرفهما يعظكم به بما أنزل عليكم
واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد وإذا طلقتم النساء
فبلغن أجلهن أي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على
افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن المخاطب به الأولياء لما روي
أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جميلة أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستئناف
فيكون دليلا على أن المرأة لا تزوج نفسها إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى
ولا يعارض بإسناد النكاح إليهن لأنه بسبب توقفه على إذنهن وقيل الأزواج الذين
يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لأنه جواب
قوله وإذا طلقتم وقيل الأولياء والأزواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم
هذا الأمر فإنه إذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس

والتضييق ومنه عضلت اذا نشبت بيضتها فلم تخرج **اذا تراضوا بينهم** اي الخطاب
والنسا وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن **بالمعروف** بما يعرفه الشرع ويستحسنه
المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كاينا بالمعروف وفيه
دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه **ذلك** اشارة الى ما مضى ذكره
والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر
والمقتضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد **يوعظ به من كان**
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع **ذلكم** اي العمل بمقتضى ما ذكر
ازكى لكم انفع **واطهر** من دنس الآثام **والله يعلم** ما فيه من النفع والصلاح **وانتم**
لا تعلمون لقصور علمكم **والوالدات يرضعن اولادهن** امر عبر عنه بالخبر للمبالغة
ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظير
او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن
اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه **لمن اراد ان يتم**
الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه **وعلى المولود له** اي
الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن**
اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة رحمه الله ما دامت
زوجة او معتدة نكاح **بالمعروف** حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه **لا تكلف**
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا
يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه **لا تضار والدة بولدها ولا مولود**
له بولده تفصيل له وتقريب له اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره
بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف
واصله على القرائتين تضارر بالكسر على البنا للفاعل او الفتح على البنا للمفعول وعلى الوجه
الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده
ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليهما تارة واليه اخرى استعطافا لهما عليه وتنبيه
على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا به ۞

بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رحمه الله اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي
حنيفة رحمه الله وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور** اي فصالا صادرا
عن التراضي والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة
استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته **فلا جناح عليهما** في ذلك وانما اعتبر
تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض **وان**
اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف
المفعول الاول للاستغناء عنه **فلا جناح عليكم** فيه واطلاقه يدل على ان
للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم**
ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه
احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة **بالمعروف**
صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح
للطفل **واتقوا الله** مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع **واعلموا**
ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا**
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح
اليا اي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور ولذلك
لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد
له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين
في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم
اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي رضي الله عنه والحرة والامة
كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه

لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد
باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
اي الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم
عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره
فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم
عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ابهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجاز كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية
هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد
للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك
جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا
تصبرون عن السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل
معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن
الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا
تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير
موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة
وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح
ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه
لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان
فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر

وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر
المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب
في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف
على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
اي على كل من الذي له سعة ومن المقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه
قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة رحمه الله هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق لها الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي
يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف
ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم
تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات
فلا ياخذون شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول
ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك
لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر
بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي
وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى
الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون
المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده
فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق

وقال انا اخو بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
علي بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا علي الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلاة الوسطي اي الوسطي بينها او الفضلي
منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام شغلونا عن الصلاة الوسطي
صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملايكة وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار فكانت اشق الصلوات عليهم
فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل صلاة
الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشا لانها بين جهريتين
واقعتين طرفي الليل وعن عايشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرء
والصلاة الوسطي وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها
بالفضل وقري بالنصب علي الاختصاص وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له
في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت
في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين
ورجالا جمع راجل ورجل بمعناه كقايم وقيام وفيه دليل علي وجوب الصلاة حال
المسايفة واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلي حال المشي
والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف فاذكروا الله صلوا صلاة
الامن واشكروه علي الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلاة
حالتي الخوف والامن وشكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون
مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قراها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم علي تقدير والذين يتوفون منكم
يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون
وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الي الحول مكانه وقرا
الباقون بالرفع علي تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او وكتب عليكم وصية او عليهم وصية وقري متاع بدلها متاعا الي
الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع علي قراءة من قراه لانه بمعني
التمتع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال
من ازواجهم اي غير مخرجات والمعني انه يجب علي الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان

افضل الصلوة

يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكني وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول ٥
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكني لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي
حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الايمة فيما فعلن في
انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل علي انه لم يكن
يجب عليها ملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه
منهم حكيم راعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا علي المتقين
اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم
لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل
مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة
العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة
الي ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده
من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم
تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب وارباب التواريخ وقد تخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب
الي الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضا الله
وقدره او قوما من بني اسراييل دعاهم ملكهم الي الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل
سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت
مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعني
انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك و
اسند الي الله تعالي تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل علي اهل داوردان
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحي الله اليه نادهم ان قوموا
باذن الله فنادي فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة
القصة تشجيع المسلمين علي القتال والتعرض للشهادة وحثهم علي التوكل
والاستسلام للقضا ان الله لذو فضل علي الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا
وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي
ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار

مشكن الزوج والحداد عليه
واتماما كاشف معتبرة بين الملازمة
صح

عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جا اجلهم ففي
سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف
والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفته او بدله واقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او
مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه
له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله احد وقرا ابن كثير يضعفه
بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب (بالتشديد) اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل
الواحد بسبع مائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم
مصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور
ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ
قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل
على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا ۞
وتثبيتا وقرا نافع بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه
من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرا
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب
عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد
بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري وجعله فعلوتا من الطول تعسف

يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك
علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال والحال انا احق بالملك منه وراثة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا
ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم
النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان
فيهم من الاسباط خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة
الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة
العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده
فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ۞
ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه
عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه
لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء
فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق
التوراة وكان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه
سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت
اي مودع فيه ما به يسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل
قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم
الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص
واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل
هارون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل
مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعد انبيائهم يستفتحون

به حتي ملكت خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه علي ثورين فساقتهما الملائكة
الي طالوت إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
عليه السلام وان يكون ابتدا خطاب من الله تعالي فلما فصل طالوت بالجنود انفصل
بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله
صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم
نهرا قال إن الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب
منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فإنه مني اي لم يذقه
من طعم الشي اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي إلا من اغترف غرفة بيده
استثنا من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون
علي الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعني الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه إلا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثنا او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقري بالرفع حملا
علي المعني فان قوله فشربوا منه في معني فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثماية وثلاثة عشر
رجلا وقيل ثلاثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر علي الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد
الاخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقا الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين
عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام
ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فات راسه اذا شققته او من فاء
اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت
وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
علي القوم الكافرين التجاوا الي الله بالدعا وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ
الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه
ثم النصر علي العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم بإذن الله فكسروهم بنصره

او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشي ابو داود في
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعي الغنم فاوحي الله
الي نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه
طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود علي ملك والحكمة
النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل علي العالمين ولولا انه تعالي يدفع بعض
الناس ببعض وينصر المسلمين علي الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في
الارض او لفسدت الارض بشومهم تلك آيات الله اشارة الي ما قص من حديث الالوف
وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك
بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك اهل الكتاب فيه وارباب التواريخ وإنك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الي الجماعة المذكور قصصها
في السورة او المعلومة للرسول صلي الله عليه وسلم او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم علي بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضل
له وهو موسي عليه الصلاة والسلام وقيل موسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسي
ليلة الحيرة في الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادني وبينهما بون بعيد
وقري كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعني
مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله علي غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة
وهو محمد عليه الصلاة والسلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر
والابهام لتفخيم شانه كانه العلم لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم
خصصه بالخلة التي هي اعلي المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو
العزم من الرسل وآتينا عيسي ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس خصه بالتعيين
لافراط اليهود والنصاري في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات
واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدي الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام
دين الانبيا تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشا فضلا ويخذل من يشا عدلا والاية
دليل علي الانبيا متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم علي بعض ولكن بقاطع لان

من ابيه فجا وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت صح

اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى تعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان اقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة

والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل

اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان والاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من
الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسول فقد
استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل
الوثيق وهي مستعارة لتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها
لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم
بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم
والمراد به من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من
الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر
الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في
الخبر او من الموصول او منهما والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى
وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم
مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك
وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني
احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان اتاه الله الملك على الوجه
الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب
بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة
وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان

بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه
ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر
ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه
وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي
مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف
التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي
الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه
عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم
ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحيي كاحيا الله الذي مر وهو عزير
بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحيا واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على
الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة
عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت القائل هو الله
وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او مشارف الايمان وقيل ملك
او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض
يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء
وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون
الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد
وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف
كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال وفقا لما بعده ولنجعلك
اية للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه

فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف
منصوب بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين
له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا
وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه
ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على
الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان
ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت
ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر
النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى باماتة
حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الموسوم بهما الحمام
وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي
به او جمع كصحب فصرهن اليك فأملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف
شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما
لغتان قال ولكن اطواق الرماح تصرها وقال

وفرع يصير الجيد وحف كانه ... على الليث قنوان الكروم الدوالح

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن
من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن

تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها
على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن
فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه
ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن
الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على
ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما
يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت
من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى
انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل
لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن في الاراضي المغلة والله يضاعف
تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك
تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن
ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل المغفرة من الله بالرد
الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما
وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم
عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا
يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب

الاخرة او مماثلين الذي ينفق رياء والكاف في محل النصب على المصدر او الحال بمعنى مرائيا
او المصدر اي انفاقا رياء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس
عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون مما فعلوا رياء ولا يجدون ثوابه والضمير
للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج
دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان
الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل
نفوسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل
جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون
احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات
فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف
المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على
الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او
فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم
اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة
والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء
وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما
فيهما من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع ۞
واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال
او للعطف حملا على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى

السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء
منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها
فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن
فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الرديء منه
اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا
تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما
يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله
يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم
في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي
الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن
يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر
وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر بما قص من الايات او ما يتفكر كالمتذكر لما اودع
الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب
الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية
في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله
يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او
يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من
عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر

وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقرآء اي
تعطوها مع الاخفا فهو خير لكم فالاخفا خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال
فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيآتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله
يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس ويعقوب بالنون
مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفا اي ونحن نكفر
وقرا نافع وحمزة والكسائي مجزوما على محل الفا وما بعده وقرئ بالتا مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم
لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي
عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهدى
من الله وبمشيئته وانما يخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما
تنفقون الا ابتغآء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير
منفقين الا لابتغآء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا
لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة
او ما يخلفه للمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا
ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقرآء
متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقرا او اجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقرا المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنيآء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا وهو
ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده

والمعنى انهم لا يسئلون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى لمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هولاء الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون خبر الذين ينفقون والفا للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم
الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما
ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل
بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه
من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها
بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع
والخبط ضرب على غير الاستواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بيقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان
الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربا اصلا وقاسوا به البيع
والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما
بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها وتوقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه
موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع
النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير
معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق

السنة وقيل حكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الي تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك
فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي
احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب
لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر علي تحليل المحرمات اثيم منهمك
في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة عطفهما علي ما يعمهما لانافتهما علي سائر الاعمال الصالحة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون علي فايت يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم علي الناس
من الربوا ان كنتم مومنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان
لثقيف مال علي بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم
في رواية ابن عباس عنه فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طريق
العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتي يفيء الي
امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة
ولا تظلمون بالمطل والنقصان وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة
فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره علي الخبر
اي فالمستحق ناظره بمعني منتظره او صاحب نظرته علي طريق النسب وعلي الامر اي
فسامحه بالنظرة الي ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافا بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه
ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل
مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر
الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله يوم القيامة او يوم الموت فتاهبوا
لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفي كل نفس ما كسبت
جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله

صلي الله عليه وسلم بعدها احدي وعشرين يوما وقيل احدي وثمانين وقيل
سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا
داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الي المؤجل والحال وانه
الباعث علي الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الي اجل مسمي معلوم بالايام
والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور
علي انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا
اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد
ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتي يكون
مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتابة
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتب الوثايق ولا يابي ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب
تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع عنها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء
واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق
او مما املي عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملال
بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم
مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع
وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل
واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد علي الدين شاهدان من رجالكم
من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء
وقال ابو حنيفة رحمه الله تسمع شهادة الكفار بعضهم علي بعض فان لم يكونا
رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد
رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند
ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخري علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان
نسيتها ذكرتها الاخري والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال

يستشهدا بل متولي كقولهم اعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وكان قبل ان
تذكر احديهما الاخري ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن
وقراء حمزة ان تضل علي الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر
من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهدا
تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه لا تملوا
من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسام عن الكسل
لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المومن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الي
اجله الي وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الي ان تكتبوه اقسط عند الله
اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون علي اقامتها وهما مبنيان
من اقسط واقام علي غير القياس او من قاسط بمعني ذي قسط وقويم وانما صحت
الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادني ان لا ترتابوا واقرب في ان لا
تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر
بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين او دين وادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة علي انه خبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله ۝ بني اسد هل تعلمون بلاءنا ۝ اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ۝
ورفعها الباقون علي انها الاسم والخبر تديرونها او علي كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها
ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قري ولا يضارر
بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة
والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد
لهما ولا يعطي الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا
الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا
الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولي
حث علي التقوي والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل

ذلكم



في التعظيم من الكناية وان كنتم علي سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا
فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان
وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه
عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي
الذي هو مظنة اعوازها والجمهور علي اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير
وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعني مرهون وقرئ باسكان الهاء علي
التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغني
بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة
لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقري الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن
بادغام اليا في التا وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق
الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم علي انفسهم ومن يكتمها
فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم اليه
القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء
وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق
سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم لله
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه
يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة علي من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب
التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب علي الاستئناف وجزمهما الباقون
عطفا علي جواب الشرط ومن جزم بغير فا جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل
او الاشتمال كقوله ۝ متي تاتنا تلمم بنا في ديارنا ۝ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ۝
وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله علي كل شيء قدير
فيقدر علي الاحيا والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة
وتنصيص من الله علي صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه
والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان
يعطف المومنون علي الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا

الى الرسول والمؤمنين او تجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره
يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان
ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي
وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس
والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون
حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي
كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق
والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك
واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مداها طاقتها
بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير
وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها
وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر
تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او
خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب
كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد
ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة
وتفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك
مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطا والنسيان ربنا ولا
تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل
حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف
به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية
وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد

هنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت
مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر
مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وروي انه عليه الصلاة والسلام
لما دعا بهذه الدعوات قيل له قد فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل
الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من
قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام
من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان
يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال
عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها
لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف
لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه
غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل
الحي القيوم روي انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث
سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما
بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على عيسى
وموسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية
من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب

الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة
ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور
او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث
انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل
او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب
شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر
وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا فعبر عنه بالسماء
والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود
بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم
ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت
السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان
حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس هن
امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر
فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف
عليها استنباط المراد بها فينالوا المقصود بها وباتعاب القرائح في استخراج
معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين
في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه

فيتعلقون

فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان
يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل
واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم
تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا
فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما
يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما
استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما
قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته
او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما
انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة
كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون
اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ
قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه
المتفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم
او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء فنبههم به على ان معظم
غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان
الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم
التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على

معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى
اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او
توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كداب هم في
الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين
من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه
عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر
وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء فيهما
على ان الامر بان تحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال
لهم او استئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة
عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما
لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين
مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله
في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء
وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريهم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين وبالنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا راي العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل او
التكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الوقعة آية ايضا
يحتملهما وتحقق وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام لعبرة
لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا
شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدوا

ولعله زينه ابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله
ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل
مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة
منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع
الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على
استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل
اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير
ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم بضم الراء وهما
لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين
اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق
المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما
طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما
واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او
لتغاير الموصوفين بها وكمالهم فيها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان
العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب
الدلائل عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل

في ضمنه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جا زيد وعمرو راكبا
لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اي
تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج اذا جعلته صفة وحالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او
الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد والحكم
به بعد اقامة الحجة وليبتني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم
العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة
فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة
مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع
بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه
بدل الكل ان فسر الاسلام بالشريعة وقرئ ان الدين بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجرا شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة
في دين الاسلام وقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او
في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعدما علموا
حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفا في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع
الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعدما اقمت الحجج
فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم
الذي قامت به الحجج ودعت الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة
ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل
للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أاسلمتم كما
اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه
تعييرهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلا يضرك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد
بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم

بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبيا ومتابعيهم وهم رضوا
به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم
رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتدا بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع
عنهم العذاب ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
او التوراة لما روي انه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا
فقال لهم هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ
ليحكم على البنا للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية
حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباهم الانبيا يشفعون لهم
او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار وان
دخولها فاذن هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى
لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص
هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله
امنا بخير فخفف بحذف حرف الندا ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك
يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو ندا ثان عند سيبويه فان الميم
عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها
من تشاء ما تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد

بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الي قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا
وفي الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك علي كل
شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر
جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه
اذ روي انه عليه الصلاة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق
منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان به مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت
لي منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة علي كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه علي ان الشر ايضا بيده بقوله انك علي كل شيء قدير تولج الليل
في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من
تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته علي معاقبة الليل والنهار والموت والحياة
وسعة فضله دلالة علي ان من قدر علي ذلك قدر علي معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر ○
بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
واماتتها وانشاء الحيوانات من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما حتي لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في
الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الي انهم الاحقاء بالموالاة وان
في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس
من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمي ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال
تود عدوي ثم تزعم انني ● صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدي
بمن لانه في معني تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا
في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسي عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والي الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه

بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار
وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم
وعلنكم والله علي كل شيء قدير فيقدر علي عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية
بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لانها متضمنة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة
ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا علي عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع
عليها قادر علي العقاب لها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب بتود اي تتمني كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها
من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو
اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور علي ما عملت من خير ولا
تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلي هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل علي
الخبر معني اوقع لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتوكيد والتذكير والله رءوف بالعباد اشارة الي انه تعالي انما نهاهم وحذرهم رافة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجي رحمته ويخشي عذابه قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الي الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها
علي ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه
وغيره فهو من الله وبالله والي الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع
الرسول في عبادته والحرص علي مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض
عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في
جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة علي طريق الاستعارة والمقابلة والله غفور رحيم
لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قال اليهود نحن ابناء الله و
احباؤه وقيل في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا علي عهده
عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعني فان تتولوا فان الله لا يحب
الكافرين لا يرضي عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم ○
والدلالة علي ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفي ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران علي العالمين بالرسالة

والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب
طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه
استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يود بن زربابل بن
سالتان بن يوحنا بن اوشا بن اموذ بن ميشك حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن
ساقط بن ايش بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون بن باعز بن عمشون بن
عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة
سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية
واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع
على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء
وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة
عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد وزوجته
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى
ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا
في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته
لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت
السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير
لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه
فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تاسفا
وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما
وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية
لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على انه خطاب الله لها
وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت

واللام

واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت
فتكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة
واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها
فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان
يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى
وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن
تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم
وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها
زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به
لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة
ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا
من اين لك هذا الرزق لاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من
الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا
به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها
اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال

عليهم يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك
شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان
او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل
لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال
رب هب لي من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة
انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب
الخيل فان المنادي كان جبرئيل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال
آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر
بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى
اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله
اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم
الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه
ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس
النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات
كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما
او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن
واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله
مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر
مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية
علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا

وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال
الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز
ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف اليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد
الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب
وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى
الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها
ومن انكر الكرامة جعل ذلك معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه
تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء
الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة
عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة
اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود
بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين امرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها
وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب
الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا
مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا
بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا
باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فان معرفة طريق الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا
شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم
يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقون ليعلموا او يقولون
ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة

يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم بدل من اذ قالت
الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية
مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة
او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو
بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسما
نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل
ان يراد الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى
والمميز له مما سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما
قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى
الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا
النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته
في الجنة او رفعه الى السما وصحبته الملايكة ويكلم الناس في المهد وكهلا
اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا من غير تفاوت والمهد مصدر
سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله
وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن
الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون
لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه
يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله وجبريل
حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر
ان يخلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها
وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك
او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ۵
ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة
القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص
بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم

والمعنى

والمعنى اقدر لكم واصور شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياه من
الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوخ العين روي انه
ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
يداوي الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية
فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم
مومنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير
معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود
على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جيتك معتذرا ۵
ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك
ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل
ذلك بكونه مصدقا كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب
فان النسخ في الحقيقة بيان تخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم
باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما
بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جيتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفا قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة
والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة
واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية
فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان
بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه
الصلاة والسلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا
او ضاما الي ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة من الذين

يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال
الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل
قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا
بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد
عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من يريد
اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة تجلب بها غيره الى مضرة لا يسند
الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او
لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك
المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي ومتوفيك نائما اذ
روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل
اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي
اي محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يغلبونهم بالحجة او السيف
في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة
اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه
ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما
لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير
للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من
نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء
ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان
ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن
تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم

اي

اي شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه
وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم
وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله
ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا
المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ
ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في
عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي
والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا
والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته
ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا
بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي حلة
حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى
الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من
نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن
عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ
من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه
يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان
الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج
والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم

قل يا أهل الكتاب يعم أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الكتب والرسل ويفسرها ما بعدها ألا نعبد إلا الله أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلا لأن يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنه لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج بين أولا أحوال عيسى وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى أن اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون أفلا تعقلون فتدعون المحال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى مبينة للأولى أي أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عنادا أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وأنتم لا تعلمون وأنتم جاهلون به ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما

منقادا لله وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام وما كان من المشركين تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم إن أولى الناس بإبراهيم إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من أمته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على إبراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية ولو بمعنى أن وما يضلون إلا أنفسهم وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا عليهم إذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلون إلا أمثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والإنجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام وأنتم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين وتعلمون بالمعجزات أنه حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وأنتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار أي أظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثني عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل أصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإن رجوعهم أرجى وأهم قل إن الهدى هدى الله يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد والمعنى أن الحسد حملهم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله قل إن الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي

بطائل وحجرات على ان هدى الله يدلك عن الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على
الاستفهام للتقريع توكيد الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية
فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى
الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى
الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة
الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله
بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه
بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل
المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء
المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب
وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك
لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل
اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى
البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر
بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب
عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله
لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم
القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم

ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن
التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه وقيل انها نزلت في احبار حرفوا التوراة
وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في
ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم
لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون
على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ
ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند
الله تاكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا
لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون
الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما
يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس
وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد
معنى النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا

يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على
الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد إذ
أنتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا
حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين ۝
واممهم واستغنى بذكرهم عن الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان
اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم
والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض
الكتاب ثم مجيء رسول الله مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة
والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل
ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال أأقررتم
وأخذتم على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة
فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد
ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فأولئك هم الفاسقون ۝
المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة
متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم
المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية
حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله أسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها اي طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة
والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه
ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى

والنبيون من ربهم أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب
الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له
والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه
عليه السلام على المنزل على ساير الرسل لانه المعترف له والعيار عليه لا نفرق بين
أحد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته
ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب
لغيره فاقد للنفع وواقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره
لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان
الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك
يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره
فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال
بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه أولئك
جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى
مايوسون عن الرحمة اصلا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر
ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
إلا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد وأصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا
يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فإن الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل
عليه وقيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل
لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب إن الذين كفروا
بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه

باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك
فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم
ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في
شانهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاؤه وذهبا نصب على التمييز
وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر المحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او
المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل
يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في
التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما
تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله
والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قبلها منك وذلك يدل
على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شيء اي من شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم
فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل
حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه كلحوم الابل والبانها وقيل كان
به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول
ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها
مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود

في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا طيبات وقوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا باول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما
حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته
فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية
على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون
الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة
الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم
ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة
كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد
من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش
وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه
قبل آدم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله
ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية
وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره
واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم
ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة
البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان
كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام
ابراهيم مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل

وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصما وغوصها فيها الي ۝
الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبيا وحفظه
مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر
انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن
دخله كان آمنا** جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى
امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اي
ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من
الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقا الاثر
مدى الدهر والامن من العذاب في الاخرة قال عليه الصلاة والسلام من مات في
احدى الحرمين بعثه الله يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل
بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت**
قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج
بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي
رضي الله عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد من ينوب عنه
وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة
رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشي فهو ۝
سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين** وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا
لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شا
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة
الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس
وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا في هذا الموضع مما يدل على المقت ۝
والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا
عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم
الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب**

لم تكفرون بآيات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون**
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام
مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه
مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام ۝
قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في
الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه **تبغونها عوجا**
حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق
بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين
لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم **وانتم شهداء** انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال
او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل
عما تعملون** وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله
والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال والله بغافل عما تعملون **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان
الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح واجتمع خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بين بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله ع
بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم
هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله** انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة
عن الكفر **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره **فقد هدي
الى صراط مستقيم** فقد اهتدى لا محالة **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**
حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم

كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن
توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية
قلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون
اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او
غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن
حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن التردي كما ان
التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام
ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا
ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية
متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين
على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله
عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
اذ لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله
لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له
شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل
حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او
للتبيين بمعنى وكونوا امة آمرين كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس والدعاء الى الخير يعم
الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف

الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر
ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك
احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى
اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم
البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه
مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف
امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض
الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم
اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه
واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم
المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به
قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا
من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها
خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال
هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك
بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم
منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك
على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل

على انقطاع طرفه كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما
بين الامم المتقدمين أخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله
يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل
الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه
واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف
ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف
ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم
مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن
يضروكم الا أذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم
او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ
لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم
وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير
وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل والجزية أينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا
معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين
له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على
اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه
كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك
اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى

الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو
معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
أمة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت
العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب
لا يصلونها لما روي انه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات
صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين
بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون
في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك
الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه وما تفعلوا من خير
فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرا كما سمي توفية الثواب شكرا
وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه
بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ
الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنا فيكون مصدرا واولئك
اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها
صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت
به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد
والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق
لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة
التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم
الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا ان

انفسهم بما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن
ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اي ولكنّ انفسهم يظلمونها
ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكنّ من يبصر جفونك
يعشق **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذي يعرّفه الرجل
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار
شعار والناس دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** لا يقصرون لكم في الفساد
والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا
على تضمين معنى المنع او النقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة
وما مصدرية **قد بدت البغضاء من افواههم** لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة
الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل
ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم** اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان ٥
لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد
تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل
يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله** بجنس الكتب كلها
وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما
بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم
واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ** من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم**
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به **ان
الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل
ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم
فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة **وان تصبروا**

على عداوتهم او على مشاق التكاليف **وتتقوا** موالاتهم او ما حرم الله عليكم **لا يضركم
كيدهم شيئا** بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره **ان الله بما تعملون**
من الصبر والتقوى **محيط** محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم
عليم فيعاقبهم عليه **واذ غدوت** اي واذكر اذ غدوت **من اهلك** من حجرة عائشة
تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام **مقاعد للقتال**
مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد
صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك **والله سميع** لاقوالكم **عليم** بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال له هو واكثر الانصار
اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصيب منا ولا
دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم
الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم
الى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره
وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل
لا يأتونا من ورائنا **اذ همت** متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت **طائفتان
منكم** بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر **ان تفشلا** ان تجبنا
وتضعفا روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا
فلما بلغوا الشوط انخذل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت عزيمة
لقوله **والله وليهما** اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما
فما لهما يفشلان **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا

على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر **ولقد نصركم الله ببدر** تذكير ببعض ما أفادهم
التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به **وأنتم أذلة** حال
من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال
وقلة المراكب والسلاح **فاتقوا الله** في الثبات **لعلكم تشكرون**
ما أنعم به عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الإنعام لأنه سببه **إذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ
غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة **ألن يكفيكم
أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين** إنكار أن لا يكفيهم
ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا آيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم
صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزّلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج **بلى** إيجاب لما بعد
لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال
إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون **من فورهم هذا** من ساعتهم هذه وهو
مصدر فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا
تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة**
في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير **مسومين** معلمين من التسويم الذي هو إظهار
سيما الشيء لقوله عليه السلام لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت أو مرسلين
من التسويم بمعنى الإسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو **وما
جعله الله** وما جعل إمدادكم بالملائكة **إلا بشرى لكم** إلا بشارة لكم بالنصر ۝
ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن إليه من الخوف **وما النصر إلا من عند الله** لا
من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد
لهم بشارة وربطا على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر وحثا على أن
لا يبالوا بمن تأخر عنهم **العزيز** الذي لا يغالب في قضيته **الحكيم** الذي ينصر
ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة **ليقطع طرفا من الذين كفروا**
متعلق بنصركم أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل
بعض وأسر بعض وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم
أو يكبتهم أو يخزيهم والكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب وأو للتنويع ۝
فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال **ليس لك من الأمر شيء** اعتراض

أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى أن الله مالك
أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا
وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون
معطوفا على الأمر أو شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم
وأن تكون بمعنى إلا أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتسر به أو يعذبهم
فتشفى منهم وروي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن
يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن **فإنهم ظالمون** قد استحقوا التعذيب
بظلمهم **ولله ما في السموات وما في الأرض** خلقا وملكا فله الأمر كله **يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء** صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة
وعدمها كالمنافي له **والله غفور رحيم** لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم **يا أيها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** لا تزيدوا زيادات
مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد
فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب مضعفة **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه **لعلكم تفلحون** راجين الفلاح
واتقوا النار التي أعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم
وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة **وأطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون** أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا
في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرا **وسارعوا**
بادروا وأقبلوا **إلى مغفرة من ربكم** إلى ما يستحق به المغفرة كالإسلام والتوبة
والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو **وجنة عرضها السموات
والأرض** أي عرضها كعرضهما وذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة على طريقة
التمثيل لأنه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها
ببعض **أعدت للمتقين** هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة
عن هذا العالم **الذين ينفقون** صفة مادحة للمتقين أو مدح منصوب أو مرفوع
في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة أو الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة
أو مضرة أي لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير **والكاظمين
الغيظ** الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة من كظمت القربة إذا
ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على

انقاذه ملاه الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلي الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين تحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدي وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعني النفي معترض بين المعطوفين والمراد وصفه تعالي بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث علي الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا علي ما فعلوا ولم يقيموا علي ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي لم يصروا علي قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفته علي المتقين وعلي الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات علي ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل اياتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا علي حدود الشرع وتخطوا الي التخصص بمكارمه وفصل اية هولاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت علي نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزا بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا اري مثله في سالف السنن

فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين اشارة الي قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الي ما لخص من امر المتقين والتائبين وقد خلت اعتراض للبعث

علي

علي الايمان والتوبة وقيل الي القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعني لا تضعفوا عن القتال بما اصابكم ولا تحزنوا علي من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلي منهم شانا فانكم علي الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم علي الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مومنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق علي الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قراه حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعني ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولي بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان خالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل هولاء تارة وهولا اخري كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشي بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها تحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف علي علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة غير واحدة وان ما يصيب المومن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون علي الايمان من الذين علي حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الي اثبات علمه تعالي ونفيه بل الي اثبات المعلوم ونفيه علي طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشي موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر علي الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه علي انه تعالي لا ينصر الكافرين علي الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمومنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشي قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقري يعلم بفتح الميم علي ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين

نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما
تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت** اي الحرب فانها من اسباب الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد
على الخروج **من قبل ان تلقوه** من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته **فقد رايتموه**
وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ
لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان
في تمنيها تمني غلبة الكفار **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل**
فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم**
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو
الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للتسبيبية والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله
بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب
عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى
الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس
وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله**
شيئا بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة الاسلام بالثبات
عليه كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشيئته تعالى او
باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض
وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتاخير الاجل **كتابا**
مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا** صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب

وخلوا

وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم **ومن يرد ثواب**
الآخرة نؤته منها اي من ثوابها **وسنجزي الشاكرين** الذين شكروا نعمة الله ولم
يشغلهم شيء عن الجهاد **وكاين** اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب
الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي **من نبي** بيان له **قاتل معه ربيون**
كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة
وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر **فما وهنوا**
لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي
او بعضهم **وما ضعفوا** عن العدو او في الدين **وما استكانوا** وما خضعوا
للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن
يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام **والله**
يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم **وما كان قولهم الا ان قالوا**
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا
هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم
الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان
قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث **فآتاهم الله ثواب**
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب
الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم
في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله **يا ايها الذين**
امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو
كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم
يجروكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر

الي موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب علي تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتي تركوا القتال
ورجعوا من غير سبب ونادي ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت
فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا ليستاصلوهم فالقي الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم علي الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به
ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس علي اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان
وهو كقوله ولا تري الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة
اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوي الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله
وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوي والصبر وكان كذلك حتي خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتي
انهزموا والمسلمون علي آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل
حسه حتي اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الي الغنيمة فان الحرص من ضعف
العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم
فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في
نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف
وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم
من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة علي امر الرسول صلي الله عليه وسلم ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتي حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم علي المصائب
ويمتحن ثباتكم علي الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم
علي المخالفة والله ذو فضل علي المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال
كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الي المدينة ولا تلوون علي احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخري فاثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا علي ما

فاتكم

فاتكم ولا ما اصابكم عطف علي صرفكم والمعني جازاكم علي فشلكم وعصيانكم غما
متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
او جازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا علي الصبر في
الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد علي نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعني
لتأسفوا علي ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلي ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم
وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما
اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم علي عصيانكم تسلية لكم لكي لا تحزنوا علي ما فاتكم من
النصر ولا علي ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما
قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم
الامن حتي اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتي كان السيف
يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب علي المفعول ونعاسا
بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعني ذوي امنة او علي انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة
من الامن يغشي طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا علي
الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية صفة اخري لطائفة او حال او استئناف علي وجه البيان
لما قبله وغير الحق نصب علي المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن
به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول
الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر
والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعني انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله
اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل
ما يشاء ويفعل ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع علي الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم
الي بعض وهو بدل من يخفون او استئناف علي وجه البيان له لو كان لنا من الامر
شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم
نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه

المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع
الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب
لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من
الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكي لا تحزنوا وليمحص ما
في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما
فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بمخالفة النبي بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة
فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك
بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم
بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد
عفا الله عنهم بتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني
المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او
المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف
وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم
لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان
اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق
بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد
للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين

كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة
والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت
ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير
مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى
غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم
بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان
لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم
لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما
يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم
اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب
المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر
فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه
على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا
ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم
فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
في خفية والمراد به اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز
للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما
المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا
تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل

على البنا للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا وان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يات بما غل يوم القيامة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جا في الحديث او بما
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزا ما كسبت وافيا
وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان
على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب يجزى بعمله فالغال مع
عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عذاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب
المعاصي وماواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب
ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب او العقاب او هم ذوو درجات والله بصير
بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد
من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه
وتخصيصه مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرى لمن من الله على انه
خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم
او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونون واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وقرى من انفسهم اي من اشرافهم لانه عليه الصلاة والسلام كان
من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القران بعد ما كانوا جهالا لا
لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا
من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف
الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم
ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر
قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز
فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن
علي رضي الله عنه باختياركم الفدا يوم بدر ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب منكم ويصيب بكم وما اصابكم يوم

التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كاين
بقضايه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هولا وكفر هولاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة
السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة
بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما
يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدل من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله
على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من
جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان
كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود سبب للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهدا احد وقيل في شهدا بدر والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرى بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب
او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جايز الحذف عند
القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء
وقرى بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذووا زلفى منه يرزقون من الجنة وهو
تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز
بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة
بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم

اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الذين
والمعني انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المومنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احيا حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات
محبوب والاية تدل علي ان الانسان غير الجوهر المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته
لا يفني بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويويد ذلك قوله
تعالي في ال فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روي ابن عباس انه عليه السلام
قال ارواح الشهدا في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي
الي قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احيا
يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احيا بالذكر او بالايمان وفيها
حث علي الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث علي ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمني لاخوانه مثل
ما انعم عليه وبشري للمومنين بالفلاح **يستبشرون** كرره للتوكيد وليعلق به
ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم
بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم **وفضل** زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسني وزيادة
وتنكيرهما للتعظيم **وان الله لا يضيع اجر المومنين** من جملة المستبشر به عطف
علي فضل وقراه الكسائي بالكسر علي انه استيناف معترض دال علي ان ذلك اجر لهم علي
ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة **الذين استجابوا**
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمومنين او نصب علي المدح او مبتدا
خبره **للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم** بجملته ومن للبيان والمقصود من
ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك
رسول الله صلي الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرج معنا الا من
حضر يومنا بالامس فخرج صلي الله عليه وسلم مع جماعة حتي بلغوا حمرا الاسد وهي علي ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا علي انفسهم حتي لا يفوتهم الاجر والقي
الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت **الذين قال لهم الناس** يعني الركب
الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه
من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من
المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** يعني ابا سفيان
واصحابه روي انه نادي عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شيت
فقال عليه السلام ان شا الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتي نزل مر الظهران

فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة
للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد
قدم معتمرا فساله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا كلهم يقولون حسبنا الله **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال
او لفاعله ان اريد نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعني انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا
بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل علي ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد
وينقص قال نعم يزيد حتي يدخل صاحبه الجنة وينقص حتي يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر
ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل
وتناصر الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل علي انه
بمعني المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك **ونعم**
الوكيل ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر **بنعمة من الله** عافية
وثبات علي الايمان وزيادة فيه **وفضل** ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا **لم يمسسهم سوء** من جراحة وكيد عدو **واتبعوا رضوان الله**
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم **والله ذو فضل عظيم**
قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الي الجهاد والتصلب
في الدين واظهار الجراة علي العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتي انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف
وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به **انما ذلكم الشيطان** يريد به المثبط
نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما
بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الي قوله علي تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس **يخوف اولياءه** القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه **فلا تخافوهم** الضمير للناس الثاني علي الاول والي الاوليا علي الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي **ان كنتم مومنين** فان الايمان يقتضي ايثار
خوف الله علي خوف الناس **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يقعون فيه سريعا
حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعني لا يحزنك
خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله **انهم لن يضروا الله شيا** اي لن يضروا اولياء

الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على
تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد
ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم
حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم
للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول
وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب
عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها
وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب
بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر
وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو
العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما
بالفتح بكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم
لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا
خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز
ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة
المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي
احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته
من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا

بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة
قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه
عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا
حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء
قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من
قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعل الموصول كان المفعول الاول
محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل
شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من
رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث
السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون بما له ولا ينفقون في
سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم
الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع
ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير
حين سال القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك
فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه
لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا ولا
نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران والرسول ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب
الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات

في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه
ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل
الانبيا وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان
نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم
كعب بن الاشرف ومالك بن حيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا
امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبيا بني اسرائيل وهو
ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعوا فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه
معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي
قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا
ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه وقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق
هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن
جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته
اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم
تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور
ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد
والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل

الجنة

الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحياة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يدلس على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من
طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن
في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم
على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليها اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل
ثبات الراي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا
الكتاب يريد به العلما ليبيننه للناس ولا يكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون
بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفا بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا
يحسبن محذوف وان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما
اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد
للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله

عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه وأروه
انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون ٥
بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم
وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال
علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة
البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما
على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في
رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلاث حسب طاقتهم
لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على
جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض ٥
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر
لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم
اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا
ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر
فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته
لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله
على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوار
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار
للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء الدلالة على ان علمهم بما لاجله
خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد

به تهويل المستعاذ منه على تنبيهها على شدة خوفهم وطلب الوقاية وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة
عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي ٥
واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعا
ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم
فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة
وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر
وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم
يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب
لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون
من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق
على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة
في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب
ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم باني لا اضيع وقرئ بالكسر على
ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من
الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين
وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة
قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ
حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم

قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من
تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد
والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب
للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين
كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي
ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه
الصلاة والسلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند
الله النزل والنزول ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

فانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد
والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب
فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت
في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين
ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا
قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص
بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط

والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها
الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو
وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل
عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي
تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة
التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر
على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه
السلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني ادم وخلق منها زوجها
عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف
تقديره من نفس واحدة خلقها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء اذ الحكمة
تقتضي ان تكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما
من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها
او لان المراد تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت
عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث
الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون به
فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب
عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض
الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى

اويتساءلون به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه
عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان
الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا اليتامى جمع
يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى
الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه
من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على
الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده اما للبلغ على الاصل او الاتسا
لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم
ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال
وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم
فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال
من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا
تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما
وهذا حلال وذا حرام وفيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه كان حوبا
كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم
ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى
النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يتزوج يتيمة ذات مال وجمال
فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا
يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى
لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن
فنزلت وكانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجراء لهن
مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد
مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة غير منصرفة للعدل والصفة
فانها صفات بنيت وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة

الجزو الثاني عشر

باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح
يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه
الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان
ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن
وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار
وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل
فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن
وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا
نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها
نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال
من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله
وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا
اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله
كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس
ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل
الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف
بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد

عائشة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم
للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي
امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام
قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من
نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم
والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا
اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط
المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع
اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم
او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة
سنة كتب ما له وعليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة سنة عند ابي
حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا
المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على
انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا زادت على سن
البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر
بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة
سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي
وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف
غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل

على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب
الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا
وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة رحمه الله وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا
ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ٥
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه
مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على
الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض
عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة
وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب
عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من
المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان تدعوا لهم وتستقلوا ما اعطوهم ولا تمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاولياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض
عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم
على اولادهم فلا يتركوه ان يضرهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا
يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم
انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه
اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب

لاولاده وتهديد للمخالف بحاله او لاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم
بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا
ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا
حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤل اليها وعن ابي بردة انه عليه
السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال
الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عباس
عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته
شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم
وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث
اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد
الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية
وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان
الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات
فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت
المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس
حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما
لانه لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك
ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع
اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت
لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل

واحد

واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد للسدس مما ترك ان كان
له للميت ولد ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي
من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه
الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين
نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي
ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث
المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في
الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه
يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب
وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد
بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات
وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا
بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها
من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه
الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون
الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين
وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد
المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته
او من مورثكم منهم ان من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم
يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة
من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدره ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي
ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصي بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم
ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية

يوصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا أولاد الأم
والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان
رجل أي الميت يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان
أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو
مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل
الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البنا
للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى
الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال قال
الأعشى شعر فآليت لا أرثي لها من كلالة ۞ ولا من حفى حتى ألاقي محمدا ۞ فاستعيرت
لقرابة ليست بالعصبية لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها المورث
والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي أو امرأة عطف على رجل
وله أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ
أو أخت أي من الأم ويدل قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه
ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين وللإخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن
ما قدر هاهنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها فلكل واحد منهما
السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر
والأنثى في القسمة لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك
مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالإجماع من بعد
وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث
أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل
يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البنا للمفعول في قراءة
ابن كثير وابن عامر وابن عباس عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد أو منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده أن قرئ غير مضار وصية بالإضافة أي لا
يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالأولاد ۞
بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل
بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك

الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا وإلا لوجب إبراز الضمير
لأنهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها
يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة
قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن أربعة
من رجال المؤمنين تشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت فاحبسوهن
في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي أرواحهن الموت
أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد
ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى
بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني أو يجعل
الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح واللذان
يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين
مد الألف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء أو أعرضوا
عنهما بالإغماض والستر إن الله كان توابا رحيما علة الأمر بالإعراض وترك المذمة
وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد
وقيل الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة
على الله أي إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته
للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل
ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقوله تعالى حضر أحدهم الموت وقوله
عليه السلام إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن أمد الحياة
قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها
فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء فأولئك يتوب
الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة على الله
وكان الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة
في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء
وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا
اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم ولا يعجزه عذابهم متى
شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة
القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة
وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان
ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت
الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة
حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم
عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت
ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا
واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى
في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج
اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس
قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا
واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب
على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم

المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت
المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تاخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل
بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان او ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها
اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من
المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم
للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ
للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه
كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه
لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي
وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله
حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او
ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت
واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى
ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا
وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة
اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن
قال عليه السلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام
اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب
وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر

ولامحرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربايب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر
سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعني مفعول وانما لحقه التا لانه
صار اسما ومن نسايكم متعلق بربايبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم
بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها
بالربايب كانت ابتدايية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا
لنسايكم والكلمة الواحدة لا تحمل علي معنيين عند جمهور الادبا اللهم الا اذا جعلتها
للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني علي معني ان امهات النسا وبناتهن
متصلات بهن لكن الرسول صلي الله عليه وسلم فرق بينهما فقال لرجل تزوج امراة وطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب
عامة العلما غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون
الموصول الثاني صفة للنسايين لان عاملهما مختلف وفايدة قوله في حجوركم تقوية العلة
وتكميلها والمعني ان الربايب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده
قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقا بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة
واليه ذهب جمهور العلما وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والامهات
والربايب بينا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر
كناية عن الجماع ويوثرها ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة
لمس المنكوحة كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** تصريح بعد
اشعار دفعا للقياس **وحلايل ابنايكم** زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
او لحلولها مع الزوج **الذين من اصلابكم** احتراز عن المتبنين لا عن ابنا الولد **وان
تجمعوا بين الاختين** في موضع الرفع عطفا علي المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
علي النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان
هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر
لان اية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام
الا غلب الحرام **الا ما قد سلف** استثنا عن لازم المعني او منقطع معناه لكن ما سلف
مغفور لقوله **ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النسا** ذوات
الازواج احصنتهن التزويج او الازواج وقرا الكسايي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار

فهن حلايل للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبيا يوم
اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلي الله عليه وسلم فنزلت
الاية فاستحللناهن واياه عني الفرزدق بقوله

وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم يطلق

وقال ابو حنيفة رحمه الله لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي
واطلاق الاية والحديث حجة عليه **كتاب الله عليكم** مصدر موكد اي كتب
الله عليكم تحريم هولا كتابا وقري وكتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف علي الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا
حمزة والكسايي وحفص عن عاصم علي البنا للمفعول عطفا علي حرمت **ما ورا ذلكم**
ما سوي المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معني المذكورات كسائر
محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين** مفعول له والمعني احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النسا باموالكم
بالصرف في مهورهن واثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر
مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل
من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية علي ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا
حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فانه الغرض منه **فما استمتعتم به منهن** فمن تمتعتم به من
المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن **فاتوهن اجورهن**
مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور بمعني مفروضة او
صفة مصدر محذوف اي ايتا مفروضا او مصدر موكد **ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة** فيما يزاد علي المسمي او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا
به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين
فتحت مكة ثم نسخت لما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني
كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الي يوم القيامة وهي النكاح
الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطي
وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح **حكيما** فيما شرع
من الاحكام **ومن لم يستطع منكم طولا** غني واعتلاء واصله الفضل والزيادة **ان ينكح
المحصنات المومنات** في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم
يستطع غني يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله **فمن ما ملكت ايمانكم من**

فتياتكم المؤمنات يعني الاما المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من يملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة
رحمه الله طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من
فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله
ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن
مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر
وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل
الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاما ومنعهم عن الاستنكاف منه
ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان
لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن
مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم
بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج
فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من
العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد
العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاما لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد
وهذا شرط اخر لنكاح الاما وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاما
متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه
والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من
الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد
واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه ... سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن
الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب

عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة
او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب
عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة
فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات ميلا عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور
غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية
السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض
غير منهي عنه او اقصد واكون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها
اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا
الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او
الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس
الى التهلكة ويؤيده ان ابن عمرو بن العاصي تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها
ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان
المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها
من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها
رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما
نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل
الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات

عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد
بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة
الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل
ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل
النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب
منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها
فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق
عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها
عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا
مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته
التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة
وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه
والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن
عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني
ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني
ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسبه
ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني
وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل
منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا
الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو

يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوق اليكم
ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي
ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا
كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا
وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل ولكل ميت جعلنا
وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان
والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم
كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين
عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح
وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد
على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية
وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب
تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في
الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة
روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد
ابن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال
عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات
للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال
وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك

واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقال لامرا رهم بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ
فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على
الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج
من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف ولا
تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن
واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج
فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن
التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان
عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه
يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان
يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين
الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب
جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين ولتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال
مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما
الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما
لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق
اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح
الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك
جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب

القرابة

القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى القرابة الذي قرب جواره وقيل
الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة
فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق
الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب
بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه او هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي بالبخل
بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم اخفاء بحال
ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب
يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون
او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا
على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة
والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي
تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي
بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم من

الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل
ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان
تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس لتشبيهها بحروف العلة وقرا ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه
اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح
اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا
بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم
واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم
وقيل المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ
اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله
ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف
التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا
وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من
الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب
فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها
وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهي

عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على
انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري
مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال
اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم تجد الماء وتيمم
ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل
وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري
سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رضي الله عنه
وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا تخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او
مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركته وعجزهم او على سفر لا تجدونه
فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين
واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن
وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم
ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه
ما يحدث بالذات وبالعرض واستغنى عن تفصيل حاله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب
المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء
من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من
لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى
المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء

دليل على ان المراد همنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك
يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من روية البصر اي الم تنظر اليهم
او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم
التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى
ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم
وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر
محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله فيها بازالتها عنها واثبات غيرها
فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر
الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا
امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير
مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه
فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا
بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا
المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعا والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير
نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان
قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان
عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض
الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا

الحزب الثالث عشر

بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها
في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المؤثلة وقد يطلق بمعنى الطلس
في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه
الروسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
الاصغا الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما
لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه
ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه
مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده
او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا
ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان الذنب لا ينمحي عنه
اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان
او كبيرا لمن يشاء تفضلا منه واحسانا والمعتزلة علقوه بالامرين على معنى ان الله
لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد
بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعلق الامر
بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم
فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى
المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل
وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل
على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما
عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من
يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه
الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية

نفي ما يستنفع به فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم
بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في
الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء
عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين
اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو
اليه محمد عليه السلام وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود
خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم
اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل
اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من
معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم
اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم
الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام
لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير لهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان
لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا
هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء
متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم
لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا للتشريك مفرد جاز فيه الالغاء
والاعمال ولذلك قرئ واذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله واصحابه او العرب والناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس
كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة
والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم
من اليهود من امن به بمحمد او بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض
عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابراهيم من امن به ومن كفر ولم يكن في ذلك توهين
امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها

اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فكفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت
الخاتم قرطا اي بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا
العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده
حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة
الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولك شمس
شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده
اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف
والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح وهو المامور به من اداء
الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما
تفعلون في الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده
ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة

لا النغات فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه
والمراجعة إلى سنته بعده واستدل به منكروا القياس فقالوا إنه تعالى أوجب رد
المختلف إلى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه
إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة
الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان
يوجب ذلك ذلك أي الرد خير لكم وأحسن تأويلا عاقبة أو أحسن تأويلا من
تأويلكم بلا رد ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت عن ابن عباس أن منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف
ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال
نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج إليكما
فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي لمن لم يرض
بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق
والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله فسمي بذلك
لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث
أنه الحامل عليه كما قال وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع لقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على أنه
حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا وهو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين
السد أنه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم
إذا أصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله بما قدمت أيديهم
من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤوك حين يصابون للاعتذار عطف
على أصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا
إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين
الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا ۵
بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه أولئك الذين يعلم

الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم أي في معنى أنفسهم أو خاليا بهم
فإن النصح في السر أنجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح
لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الأنبياء وتعليق الظرف
ببليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول
البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما أرسلنا من رسول إلا
ليطاع بإذن الله بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه وكأنه
احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا مستوجب القتل ۵
وتقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته
ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالنفاق
أو التحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من ذلك وهو خبر أن وإذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والإخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وإنما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل
اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر
وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه فلا وربك
أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا
في الإثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف
بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما
قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره
ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو أنا كتبنا عليهم أن
اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية
أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا
بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ عاصم
وحمزة بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل
ما فعلوه إلا قليل منهم إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن
يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم والضمير للمكتوب وذلك

عليه كتبنا او لاخراج مصدري لفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا
فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته
طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه
اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية
ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي
بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسل الماء الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال اذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزا
ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب
الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم
والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم
والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشيا واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى
بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون
الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله وهولاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام
الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى
الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون
اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في
ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن
اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن
حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة

عليه السلام اسق

حتى

حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين
وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هولاء
المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل
فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر
والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيته اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب
لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ
وهو لازم او يبطئوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطا منقولا من بطؤ كثقل من
ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم
بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا اي حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم
يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومعموله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم
وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول
اي يقول المبطئ لمن يبطيه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن
بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه
متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى
وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم
ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير
فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطا هولاء عن القتال فليقاتل

المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها
على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر
العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ
لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي
ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان
لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم
مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى
الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي
وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم
ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا
بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعا حتى يشاركوا في استنزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاهم بان يسر لبعضهم
الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له يذكر
ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون
به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم
الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه
ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان
ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه
به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه ألم تر الى الذين قيل

لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم
باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره
كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل
يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته
حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من
جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على
الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس
خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم
كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله
عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور
او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت
وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من
شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها
الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت
اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله
يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون
به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا كبهايم
لا افهام لهم او حادثا في صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو
الله ما اصابك من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان
من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد

يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما أصابك من سيئة من بلية
فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من
عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة
مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما
ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وأرسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد
ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما
ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد
أطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روي انه عليه السلام قال
من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك
وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى
عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر
طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فإذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي
تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت من القبول وضمان الطاعة
والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني
لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله
يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحي اليك لتطلع على اسرارهم
فأعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في
شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون
القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو
كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه
ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخبار المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه
الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق
من الاحكام ليس لتناقض في الحكم لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح وإذا جاءهم

أمر من الأمن أو الخوف مما يوجب الامن والخوف أذاعوا به فشوه كان يفعله قوم
من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم
الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر وتخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه لو ردوا
ذلك الخبر الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم الى رايه وراي كبار الصحابة البصراء
بالامور او الامراء لعلمه لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون
تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا
انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح
اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة
بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك
وحدك لا تكلف إلا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم
فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال
اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني
قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله أشد بأسا من قريش
وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع
شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا وجلب اليه نفعا ابتغاء
لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب
الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد
بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على
كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر قال الشاعر
وذي ضغن كففت الضغن عنه ۝ وكنت على مساءته مقيتا

أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم
بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في واجب السلام ويدل
على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد
وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله و
وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك
لم تترك لي فضلا فرددت مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار
وحصول المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا
يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل وللترديد
بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها والتحية في الأصل مصدر حياك الله
على الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي
إن الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا إله إلا هو
مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي الله والله ليحشرنكم
من قبوركم إلى يوم القيامة أو مفضين إليه ولا إله إلا هو اعتراض والقيامة والقيام
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو في
الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر ومن أصدق من الله حديثا إنكار أن يكون
أحد أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فئتين أي فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج إلى البدو واجتووا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو في قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن أو قوم أظهروا
الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين
حال من فئتين أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق
مستفاد من فئتين والله أركسهم بما كسبوا ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم
بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا أتريدون أن تهدوا من أضل
الله أن تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا إلى الهدى ودوا

لو تكفرون كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون
معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا
تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا
إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه فإن تولوا
عن الإيمان الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا
منهم ولاية ونصرة إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء
من قوله فخذوهم أي إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم وبينهم والى
قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون فإنه عليه
السلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين
عليه ومن لجأ إليه فله من الأمان مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة أو جاءوكم
عطف على الصلة أي أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور
بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين أو أتى الرسول وكف عن قتال
الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم
كافين عن القتال لكم وعليكم والأول أظهر لقوله فإن اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف
على أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف حصرت صدورهم حال
بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات أو بيان لجاءوكم وقيل
صفة محذوف أي جاءوكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم أو يقاتلوا
قومهم أي عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا
عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم
الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم
في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم
هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا
المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا إلى الفتنة دعوا إلى الكفر وإلى قتال
المسلمين أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم
ويلقوا إليكم السلم وينبذوا إليكم العهد ويكفوا أيديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف

لا يوجب نفي التعرض **واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة
واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم **وما كان لمؤمن** وما صح له وليس
من شانه **ان يقتل مؤمنا** بغير حق **الا خطاء** فانه على عرضته ونصبه
على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطا او لا يقتله
لعلة الا للخطا او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطاء وقيل ما كان نفي في
معنى النهي والاستثناء منقطع اي ولكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطا
ما لا   القصد الى الفعل او الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا
يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطا بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله
ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير
الاعتاق والحر للعتيق وللكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان
الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس **مؤمنة** محكوم
باسلامها وان كانت صغيرة **ودية مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم
تكن فعلى بيت المال فان لم تكن ففي ماله **الا ان يصدقوا** الا ان يتصدقوا عليه
بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او
الاهل او الظرف **فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة**
اي كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه
فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون
**وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة** وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم
في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا وكان له وارث
مسلم **فمن لم يجد** رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها **فصيام شهرين
متتابعين** فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين **توبة** نصب على المفعول له

اي

اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة
او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة **من الله** صفتها **وكان الله
عليما** بحاله **حكيما** فيما امر في شانه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** لما
فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن
عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم
يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما
ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا
في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه
ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث
الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم **يا ايها
الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله** سافرتم وذهبتم للغزو **فتبينوا** فاطلبوا
بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** لمن حياكم
بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام
والانقياد وفسر به السلام ايضا **لست مؤمنا** وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ
مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان **تبتغون عرض الحياة الدنيا** تطلبون ماله
الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة وترك التثبت **فعند الله مغانم كثيرة** تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم **فمن الله
عليكم** بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين **فتبينوا** وافعلوا
بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه
اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد
لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم **ان الله كان بما تعملون خبيرا**
عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى
الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت
وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله محمد رسول الله

فقتله وقال وددت لو فررت باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد
قد يخطي وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع
الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب
على الاستثناء او الحال وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت
انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي من المؤمنين غير اولي الضرر ۵
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم
وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب
القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستوا فيه والقاعدون
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه
تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن
عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان
فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطا كانه قيل واعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منهما
بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم
في الاخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم
في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم
في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون
من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم
الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت

بمعنى

بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت
في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة
توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في
الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن اظهار الدين واعلاء كلمته او عن
الهجرة قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم
جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفا فيه لتضمن الاسم
معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف
اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من
اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام
الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك
فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم
ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة
الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق ۵
بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ
العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة
ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه
بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق ۵
واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب
على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان
الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله

ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه علي سرير متوجها الي
المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف علي الموت فصفق بيمينه علي شماله فقال اللهم
هذه لك وهذه لرسولك ابايعك علي ما بايع عليه رسولك فمات وَاِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْاَرْضِ سافرتم فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ بتنصيف
ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل علي جوازه دون وجوبه ويويده انه عليه السلام اتم
في السفر وان عايشة اعتمرت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالت يا رسول
الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة
لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تام غير قصر علي لسان نبيكم ولقول
عايشة اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر
وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام
في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الي تاويل الاية بانهم الفوا
الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان
بهما قصرا علي ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة
برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعني قصر ومن الصلاة
صفة محذوفة اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند
الاخفش اِنْ خِفْتُمْ اَنْ يَّفْتِنَكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنَّ الْكٰفِرِيْنَ كَانُوْا لَكُمْ
عَدُوًّا مُّبِيْنًا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها
كما لم يعتبر في قوله تعالي فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به وقد تظاهرت السنن علي جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة
ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعني كراهية ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما
يكره وَاِذَا كُنْتَ فِيْهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ تعلق بمفهومه من خص صلاة
الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء علي انه تعالي علم الرسول
كيفيتها ليأتم به الايمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره
فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ فاجعلهم طايفتين فلتقم احداهما معك
يصلون وتقوم الطايفة الاولي تجاه العدو وَلْيَاْخُذُوْا اَسْلِحَتَهُمْ اي المصلون
خوفا وقيل الضمير للطايفة الاخري وذكر الطايفة الاولي يدل عليهم فَاِذَا
سَجَدُوْا يعني المصلين فَلْيَكُوْنُوْا اي غير المصلين مِنْ وَّرَآئِكُمْ يحرسونكم
يعني النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه فغلب المخاطب علي الغايب وَلْتَاْتِ
طَآئِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوْا لاشتغالهم فَلْيُصَلُّوْا مَعَكَ ظاهره يدل علي ان

الامام

الامام يصلي مرتين بكل طايفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان اريد به انه
يصلي بكل ركعة كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولي ركعة وينتظر قايما
حتي يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الي وجه العدو وتاتي الاخري فيتم بهم الركعة
الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتي يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلي الله
عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يصلي بالاولي ركعة ثم تذهب
هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخري فتصلي معه ركعة وتتم صلاتهما ثم تعود الي
وجه العدو وتاتي الاولي فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وَلْيَاْخُذُوْا
حِذْرَهُمْ وَاَسْلِحَتَهُمْ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره والذين تبوؤا الدار والايمان وَدَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ
تَغْفُلُوْنَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيْلُوْنَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَّاحِدَةً تمنوا
ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله
امروا باخذ السلاح وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِّنْ مَّطَرٍ اَوْ كُنْتُمْ مَّرْضٰۤى
اَنْ تَضَعُوْۤا اَسْلِحَتَكُمْ رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب
مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وَخُذُوْا
حِذْرَكُمْ امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ
لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا وعد للمؤمنين بالنصر علي الكفار بعد الامر بالحزم ليقوي
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحافظوا في الامور علي مراسم التيقظ والتفكر والتدبر فيتوكلوا علي الله فَاِذَا
قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ اديتم وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيٰمًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِكُمْ
فدوموا علي الذكر في جميع الاحوال او اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فصلوها
كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلي جنوبكم مثخنين
فَاِذَا اطْمَاْنَنْتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ فعدلوا واحفظوا
اركانها وشرايطها واتوا بها تامة اِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتٰبًا
مَّوْقُوْتًا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا
دليل علي ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في
المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتي
يطمئن وَلَا تَهِنُوْا ولا تضعفوا فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ في طلب الكفار بالقتال
اِنْ تَكُوْنُوْا تَاْلَمُوْنَ فَاِنَّهُمْ يَاْلَمُوْنَ كَمَا تَاْلَمُوْنَ وَتَرْجُوْنَ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا
يَرْجُوْنَ الزام لهم وتقريع علي التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين ۞

غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو
عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح
بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهي عن الوهن
لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم
حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفعل بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم
والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما
للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفر
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم
يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة
وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه
ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا
فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهلها فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم
في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم
عن عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به
ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة
والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه

وفيه حث لطعمة وقومه على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما
فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير
لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة
ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله
عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وجمعه للتعظيم او له ولامته فان عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم والاطلاع على
الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم
بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله
عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات
الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل
اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى
او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى
من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة
التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك
ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على
الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة
والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب
مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من
الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا ومن
يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد
ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي
بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت

نصليه جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او
الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا
الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
محرما كان وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة
وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع
المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى
حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان
الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية
الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم كان نوع افتراء
وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها
كما قال ✱ وما ذكر فان يكبر فانثى ✱ شديد الازم ليس له ضروس ✱
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا
الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود
ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حمقهم وقيل المراد
الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد
وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن
كاسد واسد واثنا على قلب الواو همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا
شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك
عبادة له والمريد والمارد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد
وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين
لعنة الله والقول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل

ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهو افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول
انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا عن
الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن
والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال
غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من
قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول
الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها
لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة
الى تحريم كل ما احل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير
فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا
يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء
البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله تعالى به
ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله
وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ويمنيهم ما لا ينجزون وما
يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه
اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده
ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر
ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده
ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد
الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال

بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم
لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودات ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به
عاجلا وآجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال
هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز
موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل
من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها
من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي
كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى
ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لا يعرف لها ربا سواه
وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى
ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع
ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر
الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا
اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم
يضمره تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل ٥
النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ومن الخل
وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة ع
فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه

عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله
لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس
فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه
الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك
المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر
العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم
على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم
فمجازاتهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله
ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن عطف على اسم الله او ضمير
المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او
استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم
في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء
صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن
او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب اليتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على انها ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض
لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج ٥
اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان
تقوموا هذا ان جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما



عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان
تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة
في شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في
ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة
فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها
ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما
ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب
له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا
جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في
القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل
بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت
الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة
عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها
ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة
وتتقوا النشوز والاعراض وتقصدوا الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم
مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب
مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع
ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين
نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو
حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع
احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امور
وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان
يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر
ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا



متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته
وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتأكيد
الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله
ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما
في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لكم ولهم ان تكفروا فان لله
مالك الملك والملكوت كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته
حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا
حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع
الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا
من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين
مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به
وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما
له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة
ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان
يريد حرث الآخرة نزد له الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم
لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على
انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره
او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او
كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة

فلا تجوروا فيهما ميلا وترحما **فالله اولى بهما** بالغني والفقير وبا لنظر لهما فلولم
تكن الشهادة عليهما اولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه
والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا
اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ والله اولى بهم **فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا** لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل **وان تلووا** السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا عن ادائها **فان الله كان بما تعملون خبيرا** فيجازيكم **يا ايها
الذين امنوا** خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي
ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت **آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل** اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه وآمنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او امنوا ايمانا عاما
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن
والثاني الجنس **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر** اي ومن يكفر بشيء من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه **ان الذين امنوا** يعني اليهود امنوا بموسى **ثم
كفروا** حين عبدوا العجل **ثم امنوا** بعد عوده اليهم **ثم كفروا** بعيسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم
اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا** اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا
ليغفر لهم **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يدل على ان الاية في المنافقين
وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على
النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم **الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** في محل النصب او الرفع
على الذم بمعنى اريد او هم الذين **ايبتغون عندهم العزة** ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم **وقد
نزل عليكم في الكتاب** يعني القرآن وقرئ نزل والقايم مقام فاعله
ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم **يكفر بها
ويستهزأ بها** حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان
من يجالسه هازيا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها **انكم اذا مثلهم** في
الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك
او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل
عليه **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها
الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغنا بالاضافة الى الجمع وقرئ
بالفتح على البنا لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون **الذين يتربصون
بكم** ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره **فان كان لكم فتح من الله
قالوا الم نكن معكم** مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم **وان كان
للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا الم نستحوذ عليكم** اي
قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلا
وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل **ونمنعكم
من المؤمنين** بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة
حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال **فالله يحكم بينكم يوم
القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** حينئذ او
في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرا الكافر المسلم
والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان
يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة **ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم** سبق الكلام فيه اول سورة البقرة **واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى** متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان
يراؤون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم

او المقابلة فان المرائي يري من يراه عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون الله
الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم
باللسان قليل بالاضافة الي الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر
فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو
يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب
علي الذم والمعني مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشي مضطربا واصله
الذب بمعني الطرد وقري بكسر الذال بمعني يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون
كقولهم صلصل بمعني تصلصل وقري بالدال الغير المعجمة بمعني اخذوا تارة في دبة
وتارة في دبة وهي الطريقة لا الي هولاء ولا الي هولاء لا منسوبين الي المومنين ولا
الي الكافرين ولا صائرين الي احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الي الحق والصواب ونظيره قوله تعالي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين
فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا حجة فان موالاتهم دليل علي النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما
كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الي الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين
واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلي وزعم انه مسلم
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرا الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع
علي ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا
بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المومنين
ومن عدادهم في الدارين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفي به غيظا او يدفع ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره عليه كسوء مزاج يودي الي مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقي عنه نفسه
تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن
النظر حتي يعرف المنعم فيومن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل

عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر
من ظلم بالدعا علي الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشكاهم
فعوتب عليه فنزلت وقري من ظلم علي البنا للفاعل فيكون الاستثنا منقطعا اي
ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم
ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء مظلمة
لكم المواخذة عليه وهو المقصود وذكر ابدا الخير تسببا له ولذلك رتب عليه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته علي الانتقام
فانتم اولي بذلك وهو حث المظلوم علي العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا علي
مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين
الله ورسله بان يومنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نومن ببعض ونكفر
ببعض نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان
بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا ٥
فالكافر ببعض ذلك والكافر بالكل في الضلال كما قال تعالي فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر
موكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعني هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا ٥
محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين علي احد وهو يقتضي
متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يوتيهم
اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة علي انه كائن لا
محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء علي تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم ٥
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار
اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتي به موسي وقيل
كتابا محررا بخط سماوي علي الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او
كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سالوا موسي اكبر من ذلك جواب شرط
مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسي اكبر منه وهذا السوال
وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين تابعين لهديهم والمعني ان عرقهم
راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا

الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرا ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قولهم فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا لتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت

اليهود

اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله

كذاك تخبر عنها العالمات بها ❀ وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل

من السماء حين خروج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويقع الامن حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا
اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه
دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب
وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون
اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
خبر المبتدا والمقيمين الصلاة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك
او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ
بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك
سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفع لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله
واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع
لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان
الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من
بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم
بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم
وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا
وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من هذه
السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه
وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين

نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده
كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه
تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه
بحجة لانه ظرف وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما
يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز
لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال
كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا
يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم
بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول
الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار
والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير
لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم
يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا
النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر
والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة
وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد
بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من
الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام بانكار نبوته او الناس
بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا يجري مجرى حكمه السابق
ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد

جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها
ووعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة
والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم أي إيمانا خيرا لكم أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم
عليه وقيل تقديره يكن الإيمان خيرا لكم ومنعه البصريون لأن كان لا تحذف
مع اسمها إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه وإن تكفروا
فإن لله ما في السموات والأرض يعني وإن تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والأرض وهو
يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما بأحوالهم حكيما
فيما دبر لهم يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت
اليهود في حط عيسى حتى رموه بأنه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
إلها وقيل للنصارى خاصة فإنه أوفق لقوله ولا تقولوا على الله إلا الحق يعني
تنزيهه عن الصاحبة والولد إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر
منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل سمي روحا لأنه كان يحيي
الأموات أو القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة أي الآلهة
ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب
والابن وروح القدس ويريدون بالأب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق إنما الله إله واحد أي
واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه أن يكون له ولد أسبحه تسبيحا
من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه فناء له ما في
السموات وما في الأرض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا
وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلا
لأبيه والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو
يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعك
كي لا يرى أثره عليك أن يكون عبدا لله من أن يكون عبدا له فإن عبوديته شرف
يتباهى به وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي أن وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله

قالوا

قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح أي ولا
يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة
على الأنبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك
يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم
كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا
يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة
باعتبار التكثير دون التكبير كقوله أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن
أراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش
أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد
الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل
حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم إليه
جميعا فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم
ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعا يوم
القيامة يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان
إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وأنزلنا إليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم
دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو
رسول الله أو القرآن فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
في رحمة منه ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل إحسان زائد عليه ويهديهم إليه إلى الله وقيل إلى الموعود صراطا
مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك
أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله كان مريضا
فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت
وهي آخر ما نزل في الأحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها
في أوائل السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن

في هلك والواو في وله تحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او
الاب لانه جعل اخوها عصبة وابنا لام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت
وان ورثت مع بنت عند عامة العلما غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف **وهو**
يرثها اي والمرء يرث اختة ان كان الامر بالعكس **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان او
انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذا البنت لا تحجب الاخ والا
كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة
على انهم لا يرثون مع الاب وكذلك مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة
وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا اخوة رجالا ونساء**
فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر **يبين الله**
لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم
لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل
لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين **والله بكل شيء عليم** فهو عالم
بمصالح العباد في المحيا والممات. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النسا
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا
وبري من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك
الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة. **شعر**.

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم	شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك
بين الوجوب والندب **احلت لكم بهيمة الانعام** تفصيل للعقود والبهيمة
كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه

البهيمة

البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظبا وبقر الوحش وقيل هما
المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام
لملابسة الشبه **الا ما يتلى عليكم** الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه **غير محلي الصيد** حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا
وقيل استثنا وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول **وانتم حرم** حال عما
استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم **ان الله يحكم ما يريد** من تحليل وتحريم
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم
ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده **ولا الشهر الحرام** بالقتال فيه او بالنسي **ولا الهدي** ما اهدي الى
الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج **ولا القلائد** اي ذوات القلائد
من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد نفسها
والنهي عن احلالها مبالغة عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن
والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحا شجر او غيرهما ليعلم به انه
هدي فلا يتعرض له **ولا امين البيت الحرام** قاصدين لزيارته **يبتغون فضلا**
من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل
وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم بن شريح
بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون
على خطاب المؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا** اذن في الاصطياد بعد زوال
الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفا على القا حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم
واحل **ولا يجرمنكم** اي لا يحملنكم ولا يكسبنكم **شنان قوم** شدة بغضهم
وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسماعيل عن
نافع وابن عباس عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض
قوم وفعلان في النعت اكثر **ان صدوكم عن المسجد الحرام** لان صدوكم عنه
عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن

الأ في بعد الحظر

١٤١

جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدي الي واحد والي اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الي مفعول بالهمزة الي مفعولين وتعاونوا علي البر والتقوي علي العفو والاغضا ومتابعة الامر ومجانبة الهوي ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان للتشفي والانتقام ۝ واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلي عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في امعا ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزي عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتي تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بير فماتت والنطيحة التي نطحتها اخري فماتت والتا فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل علي ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لا تحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثنا مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح علي النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلي بمعني اللام او علي اصلها بتقدير وما ذبح مسمي علي الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب علي احدها امرني ربي وعلي الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا علي ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعني الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح علي الانصبا المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الي الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترا علي الله ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الي تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيره او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم

بالنصر والاظهار علي الاديان كلها او بالتنصيص علي قواعد العقايد والتوقيف علي اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعني فمن اضطر الي تناول شي من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله يسالونك ماذا احل لهم لما تضمن السوال معني القول اوقع علي الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا علي الحكاية لان يسالونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سايغ في امثاله والمسول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع وما علمتم من الجوارح عطف علي الطيبات ان جعلت ما موصولة علي تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد علي اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد ۝ والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمي كلبا لقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه علي الحال من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالي او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعايه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه لقوله عليه السلام فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل فلا تاكل انما امسك علي نفسه واليه ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الي هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعني سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعني سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم عاجلا ودقا اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب

حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم
ياخذوا منها غير شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير
على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا
آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم
عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر العفائف ٥
وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن
اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى ٥
وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين
بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلاة اذا اردتم القيام كقوله اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان
يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة
وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه الصلاة والسلام
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله
عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك
وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى
مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى
المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها
منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكانت الايدي متناولة
لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها

والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم
تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤوسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل
ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا
المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم
فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي عنه
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رحمه الله مسح ربع الراس لانه عليه
السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم
الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور
عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب
من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على
وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره
ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم
ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير
الذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج
حتى يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد
المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون
نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل
اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح
وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث
اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير

الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم
ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني
الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات
الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم
على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم
للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى
اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ ٥
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما
حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل
الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى
ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان
المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى
العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم
لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس

عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من
يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني
اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما
امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة
وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير ٥
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه
باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد
ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ
قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية
لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان ٥
المغشوش فيه يبس وصلب وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم
عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله
والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد

الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام ليذكركم المنعم
ويرغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا** يعني
الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان **واتقوا الله** في انساء نعمه ونقض ميثاقه **ان الله عليم بذات
الصدور** اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم **يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم
على ان لا تعدلوا** عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم
للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم **اعدلوا هو اقرب للتقوى**
اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ ۝
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما
حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل
الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى
ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعيد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم** روي ان
المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى
العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم
لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس

عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من
يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت **اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم** بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه **فكف ايديهم عنكم** منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني
اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما
امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة
وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف **وقال الله اني معكم** بالنصرة **لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم** اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب ومنه التعزير **واقرضتم الله قرضا حسنا** بالانفاق في سبيل الخير ۝
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول **لاكفرن عنكم سيئاتكم** جواب للقسم المدلول عليه
باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك** بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم **منكم فقد
ضل سواء السبيل** ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ
قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم**
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية **وجعلنا قلوبهم قاسية**
لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان
المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين **يحرفون الكلم
عن مواضعه** استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله
والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا **مما ذكروا به** من التورية او من اتباع محمد

الكنعانيون ... الجبابرة ... قاموس

صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوا وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشيا منها عن حفظهم لما روي
ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال
تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتا للمبالغة والمعنى
ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا
منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثنا من قوله وجعلنا قلوبهم
قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح
وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم
كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما
قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعا لنصرة الله فنسوا
حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشي اذا لصق به بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية
او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزا والعقاب
يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه
لا يخبر به اذا لم يضطر اليه دينيا او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاكم
من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك
والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه الصلاة والسلام
يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من
اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة
من العذاب او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق
الى الله ومود اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم
توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من

قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض
جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفنا
كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشا والله على كل شي قدير ازاحة لما عرض لهم
من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق
السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشي من اصل ليس من جنسه كادم وكثير
من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوا او من انثى وحدها كعيسى
او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة ال عمران قل فلم
يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه
سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن
يشاء وهو من امن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم
معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما
كلها سوا في كونها خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسي
باساءته يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم الدين وحذف لظهوره او
ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان
والجملة في موضع الحال اي جاكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاكم
اي جاكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان
تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد
جاكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جانا فقد جاكم والله على
كل شي قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام
اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى
ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة
انبيا ثلاثة من بني اسرائل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم
بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا فارشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائل من الانبيا وجعلكم ملوكا

ي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبيا بعد فرعون حتى قتلوا يحيى
وهموا بقتل عيسى وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين
لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم الله وقيل المراد بالعا
عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك
لانها كانت قرار الانبيا ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في
اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها
محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل
لما سمعوا احوالهم من النقبا بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال
رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي
المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكرة
او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين
او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من الدخول في الصحرا فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر عليهم
الكر في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون
علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او لما علما من عادته تعالى في
نصرة رسله وما عهدوا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التابيد والتاكيد ما داموا فيها بدل من
ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب

انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه
وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير
هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما
لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه
ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك
او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا
وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون
او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم
اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف قوله التي كتب الله لكم
ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر
اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امرهم بقتال الجبابرة فسار بهم
يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها
متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة
احد ممن قال لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم
لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المسا فاذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل
فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر
على ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة
ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقبا فيه بغتة غير كالب ويوشع
فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعا عليهم
وبين انهم احقا لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم قابيل وهابيل اوحى
الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت
اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان
نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق
صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا

ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال
منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها ان الحلوان اسم ما يعطى وهو
في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل
كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا
سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص
النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط
الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في
جوابه انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة
الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار
المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه فان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه
ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما
هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري من هذا الفعل الشنيع
راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان
تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه على المتسابان
ما قالا فعلى البادي ما لم يتعد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي
لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا
لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان
كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت
له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ
فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان يدعوه الى الاقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو

ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله
تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير
في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى
والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع
وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل
والويلة الهلكة أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي
الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى
لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح
من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر
على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرء ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود
اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر
بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتدا
الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب
الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل
الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او
استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه
تعظيم قتل النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون
بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف
التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون اولياءهما

وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا
اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون
في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي
يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى
بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي
بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما
القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم
على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية
في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه
والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث
الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة
لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان
لهم ما في الارض من صنوف الاموال ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية جميعا
لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ
التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه
مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله معه بمعنى
مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه
لا سبيل لهم الى الخلاص منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد
والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت

وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة
اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه
لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث
وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان
ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد
صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق
فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او
المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد
ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله
يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء
قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب
مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا
بامنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون
للكذب خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما
مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء
والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء
اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم

هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد
بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة
وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال انشدك الله الذي
لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي
انزل عليكم كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا
عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في
الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانف
بقوله من الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون
للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا
قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم والاية
ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله ان الله يحب المقسطين فيحفظهم
ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب
من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو
عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما
طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال
من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها
لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك

ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في
حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه
ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما
استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا
شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة
اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل
عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في
تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من
كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء
يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام
ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا
تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا وهو الرشوة والجاه
ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون لكفرهم
بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من
الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة
كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وكتبنا عليهم وفرضنا عليهم فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس
تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل
كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول
او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن وعلى المرفوع منها معطوف على
المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار
والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراه الكسائي ايضا
بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق
من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق

يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني فيسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء **ومن لم يحكم بما انزل الله** من القصاص وغيره
فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول له لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين **بعيسى ابن مريم** مفعول
بان عدي اليه الفعل بالباء **مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل**
وقرئ بفتح الهمزة **فيه هدى ونور** في موضع النصب بالحال **ومصدقا لما بين
يديه من التوراة** عطف عليه وكذا قوله **وهدى وموعظة للمتقين** ويجوز
نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف **وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه** عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اي وآتيناه ليحكم بينهم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان
قم وامرنا بان يحكم **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون** عن حكمه
او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان
اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها
على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر **وانزلنا
اليك الكتاب بالحق** اي القرآن **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** من جنس
الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس **ومهيمنا عليه** ورقيبا
على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية
المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحافظ في كل
عصر **فاحكم بينهم بما انزل الله** اي بما انزل اليك **ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق** بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او
حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك **لكل جعلنا منكم** ايها الناس
شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة
الابدية وقرئ بفتح الشين **ومنهاجا** وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح ○
واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة **ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة** جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو
شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه
ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون
بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون
في العمل **فاستبقوا الخيرات** فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق

والتقدم **الى الله مرجعكم جميعا** استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** بالجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل والعامل والمقصر **وان احكم بينهم بما انزل الله** عطف على الكتاب
اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان تكون جملة
بتقدير وامرنا ان احكم **ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل
الله اليك** بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي
احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت **فان تولوا** عن الحكم المنزل وارادوا غيره **فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها وفيه
دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد: او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه **افحكم
الجاهلية يبغون** الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة
الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف في الصلة كما في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية
اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرا ابن عامر بالتاء على قل لهم
افحكم الجاهلية تبغون **ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** اي عندهم واللام
للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين
يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم
ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب **بعضهم اولياء بعض** ايماء الى علة النهي اي فانهم
متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ○
ومن يتولهم منكم فانه منهم اي من والاهم فانه من جملتهم وهذا التشديد في
وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا

منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار
او المومنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه
يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون
الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لي موالي من اليهود كثير عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من موالاتهم واوالي الله
ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى
الله ان ياتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين
وقتلهم فيصبحوا اي هولاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما
استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم
ويقول الذين امنوا بالرفع قراة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدا ويويده
قراة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول
المسلمون حينئذ وبالنصب قراة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى
وكانه قال عسى ان ياتي بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم
عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول
المومنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهولاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين ٥
وتبجحا بما من عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه
على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهدا ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر
مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط
اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام
والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد
ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان
رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز
الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك

الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب
مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد
رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجند المسلمين وقتله وحشي
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد
ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل ٥
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم
تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل
اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ع
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف
ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في
الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه
اذلة على المومنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه
ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع
علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على
الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا
يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في
سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف
المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين لومة اوليائهم من اليهود
فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي
تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يوتيه
من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما

وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الموالاة لله على الاصالة ولرسوله والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين آمنوا فانه جرى لاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانما نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يفسدها وان صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتولى هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغض وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول

اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول او رفع الطاغوت وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا

ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل
قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل
الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا
نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان
دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله
اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم
اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله
عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص
بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر
للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك
فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما
كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح
من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها
فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر
بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل
او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ۞ شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله
قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا دعاء عليهم بالبخل والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة يغللون
اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ
وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد
مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من
ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج

وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في
ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من
اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء
قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى
الله وسلامه عليه واشترك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح
للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق
قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا
حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه
شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا
ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب
وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل
الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا
عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات
النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو
انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما
انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان
بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم
ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او يكثر ثمرات الاشجار وغلة
الزرع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما
تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف

الحق والاعراض عنه او الافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم
تفعل فان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها
لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة
ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره
ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي
صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس
فقد عصمني الله من الناس فظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما
يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان
شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة
بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق
تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به
التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم
كذا والصابئون كذلك كقوله ۞ فاني وقيار بها لغريب ۞ وقوله
۞ وإلا فاعلموا انا وانتم ۞ بغاة ما بقينا في شقاق ۞
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن
الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى
بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر
دل عليه ما بعده كقوله ۞ نحن بما عندنا وانت بما ۞ عندك راض والراي مختلف

ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبره معا فيجتمع عاملان ولا على الضمير
في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من امن
منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ الصابيين
وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال
الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا
عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم
وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف
هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب
محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان
ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الاي وحسبوا ان لا
تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء
وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان
ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم
وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم ثم
تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله
عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى
واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع
كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم
وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع ۞
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان

ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته
او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها
كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما
لعيسى وتقربا اليه وهو معادهم وان يكون من كلا بذلك ومخاصمهم فيه فما
ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو
حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما
سبق في قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود
ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما
يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن
الذين بقوا على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم ۝
تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه
ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء
عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد
والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من
فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى
وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه
صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان
الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل
على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة والفاسدة ثم
تعجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله

ثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب ۝
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو
وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من
البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو
عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان
له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان
التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد
فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية
او تضعوه فتزعموا انه لغير رشده وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل بعثة محمد
عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا
عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما
كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى اضلالهم عن مقتضى العقل والثاني
اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل
ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما
كفروا دعا عليهم ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع بسبب عصيانهم واعتدائهم
ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن معاودة منكر فعلوه او مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا
ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب
يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما
قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليهم يوم القيامة ان سخط الله
عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط و
الخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين
فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن

كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبيا ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا
وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا
يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل
والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم
وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكا كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتدا والثانية لتبيين ما عرفوا او
للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا بانه
حق او بنبوته او من امته الذين هم شهدا على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار
واستبعاد لانتفا الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع والانخراط مع الصالحين
والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في
اللام من معنى الفعل اي واي شي حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا
مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطية وتعظيما
ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل
الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول
فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات
الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين
فامر جعفر ان يقراء عليهم القرآن فقراء سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت
في ثلاثة او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء عليهم

سورة مريم فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطفه التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال
المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن
ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي
عن الافراط في ذلك والاعتدا عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما
حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ
في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل
اللحم والدسم واتي النسا والطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول والعائد محذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الشافعي
وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة
يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم عقدتم
بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف
على يمين وراى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة

مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من قصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة
مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون
او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة
من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي
في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان
جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا
او تقتيرا تواسون بينكم وبينهم وان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره
او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان
قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير
المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته
صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا
بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت به خير او بان
تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام
شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل
هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره في
اوائل السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر الخمر وخبر
المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من
عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما
بالانصاب والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على
ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله
سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم

العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود
بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشر
لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها
عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء
بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم
منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او
مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم
عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم
وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا
الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في
الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره او باعتبار
المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان
يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض
المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب
المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار
محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت
الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم

التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف
يثبت عندما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف
من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه
فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد
ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك
جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه
واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور
وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل
موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذابح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة
ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله
منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان
ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان
بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن
لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء
مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء مماثل لما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة
فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما تكون صفته
وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا
يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء مماثلا ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة
والهيئة عند مالك والشافعي رضي الله عنهما والقيمة عند ابي حنيفة رحمه الله
وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته
قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من
غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم
واللفظ الاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من
ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان

التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان
الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء
في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه
فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه
الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام
مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر
كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان
يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين
مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما
وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار
كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره
متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته
هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبال
الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ممن
ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح
والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه
مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور
ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما
يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه
اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه
قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول
يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه
السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين
وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة
صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او
المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار

او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع
اعل عينه لما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي
والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لانه
المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة
الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع
الاحكام لدفع المضار وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه
وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله
شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن
حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في
التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي
من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو
اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان
المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا
الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل
لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما
هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا
رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر
لكم وهما كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل
ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء
حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيء كهين او شييء كصديق فخفف وقيل افعال
جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة
اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس
حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني
ما تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسايلكم فلا تعودوا

الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من
كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين
ابي فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها
قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار
من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة
ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا
بما سألوا او جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد
وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها
ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم
يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهي لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها
فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك يتعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام
والمبيح من المحرم او الامر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم
من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا
به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما
وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند
لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة
دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم
ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح لمن علم انه عالم مهتد
وذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي احفظوها
والزموا صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ
بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم
مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم
منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم

وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع
على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت
الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا
يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه
على ان احدا لا يؤاخذ بفعل غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اي فيما
امركم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى
الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهرت اماراته عليه وهو ظرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان
فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم
او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر
الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم
ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول
عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم
ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم
ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد
اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا
اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم عليه قريبا منا وجوابه
ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين
اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون
فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف
فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم
من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان

الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما
الاوليان او خبر اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين استحق عليهم
وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى ان
تقبل وما اعتدينا وما جاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين
الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر
اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته
او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان
وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث
وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان
تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي
ابن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن
العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها
في متاعه ولم يخبرهما واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا
منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله
الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة
العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك
فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب
بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك
اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
اي ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة
وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون
به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا

كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع نصب او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابوا وما اظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل التكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على ألسنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم

الاخلا

الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه فانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجار احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد

منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أو من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه
اخترعه الله بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها
عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا
وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا تجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار
والكبار والضعفاء يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل
منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله إلى عيسى أن
اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ
منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعدهم الله إنزالها بهذه الشريطة استغفروا
وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن
بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا لها للوقوف
عليها وقال لهم عيسى إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى أن
إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى
من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا وإذ قال الله
يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد
به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني ومعنى
دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فإنهم لم يعتقدوا
أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله
تعالى وكأنه قيل اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله قال سبحانك أي أنزهك
تنزيها من أن يكون لك شريك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي أن
أقول قولا لا يحق لي أن أقوله إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا
أعلم ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من
معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إنك أنت
علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم
إلا ما أمرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أن اعبدوا

الله ربي وربكم عطف بيان للمضمر في به أو بدل منه وليس من شرط البدل
جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر أو مفعول له
مثل هو أو أعني ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول
القول ولا أن تكون مفسرة لأن الأمر مسند إلى الله وهو لا يقول اعبدوا الله
ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأنه قيل
ما أمرتهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
أي رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لأحوالهم من
كفر وإيمان فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم المراقب لأحوالهم فتمنع
من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال
الرسل وإنزال الآيات فإن قيل قوله أنت ضمير الفصل وضمير الفصل إنما يؤتى
به لغرض الفصل بين كون ما بعده خبرا عما قبله لا صفة له وهذا إنما يكون حيث
احتمل ما بعده الأمرين وهنا لا يحتمل الوصفية لأن الضمير لا يوصف أجاب
النيلي بأنه لما حصل اللبس في المظهر حملوا المضمر عليه لأنه كناية عنه قال ويجوز
أن يكون أنت في قوله تعالى أنت الرقيب تأكيدا للتاء في أنت بخلاف قولك كان زيد
هو القائم فإن المظهر لا يؤكد بالمضمر ومن قبيل ضمير الفصل قوله تعالى إن ترني
أنا أقل وقوله ولكن كانوا هم الظالمين وقرئ شاذا فيهما بين الاثنين برفع أقل
والظالمين بناء على أن هذه الصيغة ضمير وأن لها محلا من الإعراب والصحيح أنه
حرف لا محل له من الإعراب كالكاف في أولئك والتاء في أنت وعليه القراءة المشهورة
بنصب أقل والظالمين وأنت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له إن
تعذبهم فإنهم عبادك أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على
المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك
وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز
ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا تثيب ولا
تعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل
وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمتنع الترديد والتعليق بإن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر
وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل إنه خبر بني على
الفتح لإضافته إلى الفعل وليس بصحيح لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق

الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
الفوز العظيم بيان النافع لله ملك السموات والارض وما فيهن
وهو علي كل شيء قدير تنبيه علي كذب النصاري وفساد دعواهم في
المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم
لان غير اولي العقل في غاية القصور عن معني الربوبية والنزول عن رتبة العبودية
واهانة بهم وتنبيها علي المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا
للاجناس كلها فهو اولي بارادة العموم عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا ۞ وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الانعام مكية غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالي حقيق بالحمد ونبه
علي انه المستحق له علي هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة علي الذين هم
بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة
بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول
واحد ان الخلق فيه معني التقدير والجعل فيه معني التضمين ولذلك عبر عن
احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها علي انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت
الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد
بالظلمة الضلال وبالنور الهدي والهدي واحد والضلال متعدد وتقديمها
لتقدم الاعدام علي الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه
الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمي ليس صرف العدم حتي لا يتعلق به الجعل ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون عطف علي قوله الحمد لله علي معني ان الله حقيق
بالحمد علي ما خلقه نعمة علي العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون
بربهم تنبيها علي انه خلق هذه الاشيا اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه
ان يحمد عليها لا يكفر او علي قوله خلق علي معني انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه

ثم هم يعدلون به ما لا يقدر علي شيء منه ومعني ثم استبعاد عدولهم بعد هذا
البيان والباء علي الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه
ليقع الانكار علي نفس الفعل وعلي الثاني متعلقة بيعدلون والمعني ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اي يسوون بها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه
المادة الاولي وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم
قضي اجلا اجل الموت واجل مسمي عنده اي اجل القيمة وقيل ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل
الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضي والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل
نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك
نكر ووصف بانه مسمي اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله
لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد
لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الي آجالهم فان من قدر
علي خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها كان اقدر علي جمع تلك المواد واحيائها
ثانيا فالاية الاولي دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات
وفي الارض متعلق باسم الله تعالي والمعني هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او
هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعني انه تعالي لكمال
علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله
اريد بالسر والجهر ما يخفي وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما
تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولي مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض
اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القران الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعني القران وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها
كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه علي معني انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به
وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف
ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند

نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة وعند ظهور الاسلام وارتفاع امره **أولم**
يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة غالب اعمار
الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في
العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت **مكناهم في الارض** جعلنا لهم
فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع
التصرف فيها **ما لم نمكن لكم** ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل
مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها
مدرارا مغزارا **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** فعاشوا في الخصب
والريف بين الانهار والثمار **فاهلكناهم بذنوبهم** اي لم يغن ذلك عنهم
شيئا **وانشأنا** واحدثنا **من بعدهم قرنا آخرين** بدلا منهم والمعنى انه تعالى
كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر
ان يفعل ذلك بكم **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** مكتوبا في رق **فلمسوه**
بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما
سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع
التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء **لقال الذين كفروا ان هذا**
الا سحر مبين تعنتا وعنادا **وقالوا لولا انزل عليه ملك** هلا انزل معه ملك
يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا **ولو انزلنا ملكا**
لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى
ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت
بذلك فيمن قبلهم **ثم لا ينظرون** بعد نزوله طرفة عين **ولو جعلناه ملكا**
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب
وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك
وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه
او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يرى

من قومه **فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** فاحاط بهم الذين
كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم **قل سيروا**
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال
كي يعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثم لاجل
النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في
آثار الهالكين **قل لمن ما في السموات والارض** خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت **قل**
لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره
كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب
والامهال على الكفر **ليجمعنكم الى يوم القيامة** استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم
واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم
او في يوم القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه
اياكم وانعامه عليكم **لا ريب فيه** في اليوم او الجمع **الذين خسروا انفسهم**
بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على
الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر **فهم لا يؤمنون** والفاء
للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم
والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان
وله عطف على لله **ما سكن في الليل والنهار** من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما
او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر **وهو السميع** لكل مسموع **العليم** بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم **قل اغير الله**
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد
بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك **فاطر السموات والارض** مبدعهما
وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر
وقرئ بالرفع والنصب على المدح **وهو يطعم ولا يطعم** يرزق ولا يرزق وتخصيص
الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله
والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية
وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة

ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي
سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه
على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع
اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين
الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي
يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على
ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف
المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم
في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزل
حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد
سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى
اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن
فاكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم
به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها
الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين
قبل نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان
مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون
قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون
يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته
المذكورة في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ٥ الذين خسروا
انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب
الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا

وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية
الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا
احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب
يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان
والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم
غيبت عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم
التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما
سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص
لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب
على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط
الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما
كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك
قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا
بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم
من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر
وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل
آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤوك
يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤوك يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها
الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال مجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤوك في موضع الجر ويجادلونك جواب

ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة واسطارة او اسطار جمع سطر
واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم اي ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك
الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا
على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها او
يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا
للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم
تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم
لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم
او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا
اي الى الدنيا بعد الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم
لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا
الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز
عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه
حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ
والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية
له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا
اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة الدنيا اضمرت وان لم

يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اثقال الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها
الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو
جواب لقولهم ان هي حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب
ولهو وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين على الغائبين قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن
فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم
يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا
بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي
ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا
واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي
من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او
سلما في السماء فتاتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية
او مصعدا تصعد فيه الى السماء فتنزل منه آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء
صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وبيان حرصه
البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم بآية من تحت الارض او من فوق
السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله
جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا
تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم بآية

ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على
ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب
الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع
وهو شهيد وهولاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم
حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية
من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم
اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله قادر على انزالها ليستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل
مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من
دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به
قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم
محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود بذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية
وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ
فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا
جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن
مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي
الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها
والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق
في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمات الجهل وظلمة
التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من يشا
الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط
مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب
والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول
ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى
ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف

تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم
او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان
كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل
تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف
ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة
وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه
القادر على كشف العذاب دون غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك اي من قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات
وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن
ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم
الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان فلما نسوا ما
ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من
انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والباساء وامتحانا لهم بالشدة
والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم
ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان غطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات
انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة
من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات

وظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة
بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل
يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك
صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى
بهم فمن آمن وأصلح ما يجب اصلاحه على شرعهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن
التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا أعلم
الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا أقول
لكم إني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع
إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي
من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل
يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم او مدعي
المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين دعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص
عنه وأنذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم
المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او
مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس
لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر
على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك
فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رضي الله
عنه قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه
ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون ربهم مخلصين فيه

فقيدنا الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا
بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان
من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم
واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين
طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب
النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا
فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي أهؤلاء من
انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء
وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق
الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا
متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر
فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم
وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره
بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي
عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان
يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة
وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما
فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت أنه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير
الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع
الحال اي عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد فيما اشار اليه
او ملتبسا بفعله الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه
والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء وأصلح بالتدارك والعزم على ان لا

يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا
او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم ۝
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قراة نافع بالتا ونصب سبيل على
معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا ۝
التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على
معنى ولتتبين سبيلهم والباقون باليا والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر
ويونث ويجوز ان يعطف على علة اي نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التو حيد
ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله ما
تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة
الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا
ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع
الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان تبعت اهواكم فقد ضللت وما انا من
المهتدين اي في شي من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك
قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج
العقلية او ما يعمهما من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون
صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة
باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم
فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل ۝
العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضا الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم
قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضا الفصل بتمام
الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من
قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في
قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العقاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين
في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده
مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات

مستعار من المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويويده ان قرئ مفاتيح
والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم
اوقاتها او ما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها ويعلم ما في
البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص
العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه
بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على
ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثنا الاول بدل الكل على ان
الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقريت بالرفع للعطف
على محل من ورقة او للابتدا والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشي بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعادة ثم يبعثكم
يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ
المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف
بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شان ذلك الذي قطعتم اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضي
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزايهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزا وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملايكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على روس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين
عليه حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا
حمزة توفاه بالامالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير والمعنى لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى
امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا
يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما

استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب
ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين
او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق
قوله يدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون
وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك
ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في
عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم
وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم
فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد
اما العذاب واما الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسّينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم
من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم
ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب
على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من
حسابهم ياباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون

يجتنبون

يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون روي ان المسلمين
قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا
بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي جعل ميقات
عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز
ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف
حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث
وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تتفلت منه والباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على
المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسندا الى منها لا الى ضميره اي لا الى ضمير العدل بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا
الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم
ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ
هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي
ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه
بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته
او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق
له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له
ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال
وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل
الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلاة
واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان

تسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى
هذا كان امر الرسول لهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية
قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق
للسموات والارضين قوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على
السموات او على الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر
او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين
يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها
وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم
الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية
واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه
تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ
او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم
عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اي تعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل
عليه ان قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب
بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين
ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال
ماضية وقرئ بالتاء ورفع الملكوت ومعناه نبصره دلائل الربوبية ملكوت
السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم
الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا
ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر
والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري
وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله
الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته
او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية
فلما راى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا
يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله
لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما
تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها ثم لما
تبرا منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما
احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب
الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون
وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت
لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها
ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء
علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه
من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق
بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز
بالقادر الضار النافع ما لم ينزل عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم
ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما
لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف
منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك
لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق

الشرك بالله وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه فلما
جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابراهيم
ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبره تلك
وبمحذوف ان جعل بدله اي آتينا ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء
في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه
وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا
من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي
بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهارون وكذلك
نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان
مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم
اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله بيت ٥
رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ٭ شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على
العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم
وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف
على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه
ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو
شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر

على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي او كل من آمن
به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم
فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه
من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا
الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد
بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع
وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي
واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع
برواية هشام قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما
لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق
قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء وذلك من عظائم رحمته وجلائل
نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة
والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم
والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقراءة الجمهور يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء
ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية
وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه
روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك
بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم
ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية
وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل
الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن

غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم
في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني او الظرف
متصلا بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي
بين يديه يعني التوراة او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل
عليه مبارك اي للبركات ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت
من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر
الكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
وهم على صلواتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال
الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال
عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه
السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي
الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة
الظرف اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة
باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم
اي يقولون لهم اخرجوا الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا او اخرجوها من العذاب
وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية
له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى
الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها
ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر
ما آثرتموه من الدنيا وعن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد

والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما
خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز
التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما
او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم
واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد
يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع
بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة
ما قبله عليه واقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
بطل وضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج
الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف
والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوانات والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا
على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت
هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه
والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على
الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل فانه في معنى الماضي ويدل عليه
قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك
قرئ به او به على ان المراد به جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون
والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما
بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار
مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علما للحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما
على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو

الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات
الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها
ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد
فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بها وهو الذي
انشاكم من نفس واحدة وهو آدم فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في
الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او فوق تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم
مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكره
تخليق بني آدم يفقهون لان انشاهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق
غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من
السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة المفتنة
بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه
من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو خارج من
الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من
طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله
من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية
قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن
مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف
على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها
وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير
متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب
وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه

يعود او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وبانعه ان في ذلكم
لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس
المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث
قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن
فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات
الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما
اطاعوا الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل
نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد
والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم
عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي جعلوا له اختلاقهم للافك
حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرا نافع بتشديد الراء وقرئ
وحرفوا اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا
حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع
السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف
كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق
الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له
ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول
وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون
وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها
فهو اولى ان يتعالى عنها وان ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني ان المعقول
من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث

ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة
ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان
من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب
على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية
وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله
مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب
الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما
لا تدركه الابصار بالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه
اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر
جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها
فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل
فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ
اعمالكم ويجازيكم وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك
نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست
واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست
اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات
لقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز
اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد صلى الله عليه
وسلم ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على
اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر
لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك
من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك

بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت
الى آرائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم
ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان
الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت
عليهم بوكيل تقوم بامرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا
آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل
بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان
عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين
عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب
تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة
بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم
مصدر في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول
عليه السلام في طلب الايات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء
منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الاية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة
في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون
بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن
عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا
ابن عامر وحمزة بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي
وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات
فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب

على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة
فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلا بما بشروا
به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما
كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إلا أن يشاء الله استثناء من اعم
الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة
واضحة على المعتزلة ولكن أكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا
فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق
الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا
في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل
نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين
الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله
الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة
من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك
ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان
يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما
يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على
غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة
لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام
الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما
على ارادة القول اي قل لهم يا محمد أفغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من
المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا
يوصف به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب اي القرآن المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك
بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به

لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف
جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى
ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت
الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية
والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد
يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل
بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا من الله لها بالحفظ كقوله وانا له لحافظون
او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون كلمة ربك اي ما تكلم
به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع
أكثر من في الأرض اي اكثر الناس يريد الكفار والجهال واتباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر
الا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق وجهالاتهم
وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على
الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو
أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر
في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر
او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق
العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى
كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه إن كنتم
بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن

اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله
حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ۵
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال
قراءة الكوفيين بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير
تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل
والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن
احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به
والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين
ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون
انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه
الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته
وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك
كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي
جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا
في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا
بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر
ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل
اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص

الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله
يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما
اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى
اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه
فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي فضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده ع
فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرا ابن
كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد
بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه
طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله
وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح
له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا ۵
بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح
وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن
يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه
على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع هيئة الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد
الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد
قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك
اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون
يجعل العذاب والخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا
اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته ع ۵
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او
مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون
ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال

العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكروه او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر

مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول الله او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام ۝ والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم ۝ وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ان ما عينوا لله ازكى بدلوه

مما لالهتهم وان زاوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه
على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه
بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم
الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جا بالكسر ايضا كالود
سا ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاوهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البنا للمفعول الذي هو القتل
ونصب الاولاد وجر الشركا باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف
في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة متمكنا • زج القلوص ابي
مزاده • وقرئ بالبنا للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
ليردوهم ليهلكوهم بالاغوا وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شا الله ما فعلوه ما فعل المشركون
ما زين لهم او الشركا التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون
افتراهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام
وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر
والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشا يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النسا بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعني البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح
وانما يذكرون اسما الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افترا عليه نصب
على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة
له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة
البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة
دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركا فالذكور
والاناث فيه سوا وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق
عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتا وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب
كغيرهم والتانيث للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر موكد والخبر لذكورنا وحال من

الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل
المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة
الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان
المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزا وصفهم
الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم
عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون
اولادهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى
التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز
نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افترا
على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير
معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس ف
عرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا
اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه
او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك
او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشا والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم
ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
وان لم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل ادا حق الله
واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة
لانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر باتيانها يوم
الحصاد ليهتم به حينيذ حتى لا يوخر عن وقت الادا وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بالكسر وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين
لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها
كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة

ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما
او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر من
جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم
جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا
كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى
انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى وما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين
ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال
ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم
ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل
الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي
الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي
لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون
الطعام ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما
في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد
والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل
لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في
الفسق ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى
ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من
ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم
لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية

محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ
الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي
مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت
على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل
هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا
لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه امهال لا اهمال ولا يرد
بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس
شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم
مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن
مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا
من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرتضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب
القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع الشرك ولم
يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير
تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان
تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على
الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع
اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة
والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد
اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية
قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل
الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت

لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها
على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم
الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهدا
بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم
فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع
اهوا الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب
الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يومنون
بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من
التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا
ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شي اي شي حرم ربكم عليكم
متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر
عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع
الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل
من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير
المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي عن
الاساة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساة في شانهما غير كاف
بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما
ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم
اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون
فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده
حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككصر واصر وقيل
مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية

لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره
عقيب الامر معناه ان ايفا الحق عسير بما في وسعكم وما وراه معفو عنكم
واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان
المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من
ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وقرا حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث
وقع اذا كان بالتا والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف وابن عامر
ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بتقدير اللام على انه علة لقوله
فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح اليا وقري وهذا صراطي وهذا صراط ربك
وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة
للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع
والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفا البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال
والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي
في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قري على الذين احسنوا او على
او على الذي احسن تبليغه وهو موسى اي تماما على ما احسنه اي اجاده من
العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقري بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الدين الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شي وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف
على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل
بني اسرائيل بلقا ربهم يومنون اي بلقائه للجزا وهذا كتاب يعني القران انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص
فيما لان الباقي المشهور حينيذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا

ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا
اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة
لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او
تمكن من معرفتها وصدف اعرض وصد عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين
لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب
او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله تعالى او يأتي بعض آيات
ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ
اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض
آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانيا
وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة
نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع
الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في
ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا
الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع
نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا تنفع نفسا ايمانها الذي
احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد
لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم
الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه
قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا
واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق

امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي
هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما
لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء
منهم وقيل نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله
يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب
عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا
يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني
صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما
فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي
عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه
من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع ومحياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول
والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
قل أغير الله أبغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم
وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب
مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره
ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب
عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض

درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع
العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف
العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة
واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها. عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله تعالى واسئلهم الى
قوله واذ نتقنا وقيل الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين وآياتها
مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب او خبر المص
والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه
اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او
تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفا
تحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا
اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين تحتمل النصب
باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكر والجر عطفا على محل تنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران
والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من
دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا من الابتغا قليلا ما تذكرون اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة
لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التا وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب
بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا
اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا

بايتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين
نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف
استغنيت للوصل لا اكتفا بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في
غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة
فيكون مجي العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم
او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسالن الذين
ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسالن المرسلين عما
اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند
حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى
علينا شي من احوالهم والوزن اي القضا او وزن الاعمال وهو مقابلتها
بالجزا والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر
اليه الخلايق اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون
بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان
فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا
الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي انه عليه السلام قال ليؤتى العظيم السمين
يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن
الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه
حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ما يوزن به حسناته
او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي
فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون
فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها
وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها
جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف

قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم
خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق
الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس
لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان
الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما
اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور ٥
قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف استبعادا لان يكون مثله
مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انا خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد
للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح
العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد
غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار
الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير
واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين
لهم انه اعلم منهم وانه له خواص ليست لغيرهم والاية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين
الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما
يكون لك فما يصح ان تتكبر وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه
تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه للتكبر
لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال
عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال
انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني ولا تعجل عقوبتي
قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما
جا مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله
تعالى انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب
بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي
طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او

تكليفا بما اغويت لاجله والبا متعلق بفعل القسم المحذوف لا بافعدن فان اللام
تصد عنه وقيل البا للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات
الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي
الله عنه من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ٥
ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم
واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى
الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم
جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا
لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطية القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد
او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب
ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على
ذيا والها بدل من اليا فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل
الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل للصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس
الحلي وقد سبق في البقرة كيفيته وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر
عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة

فتبقي مستهجنين في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عورتهما
وكانا لا يريانها من نفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما قلب في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدلت
به على فضل الملائكة على الانبيا وجوابه انه كان من المعلومات الحقايق لا ينقلب
وانما كانت رغبتهما في ان تحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغنا عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك وانما اخرجه على زنة المفاعلة
للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به
على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء
ارسال الشي من اعلا الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان
احدا لا يحلف بالله كذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا
يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف يخصفان نفسهما ويخصّفان من
خصف ويخصّفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة
النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا
ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان
لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك
قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيآت واستحقار
العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا او اخبر بما قال لهما مفرقا بعضكم

لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع
استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضي اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقنا لكم بتدبيرات
سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان
العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويه وريشا ولباسا
يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع
ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن
وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه
قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب
عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبايح يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم عن دخول الجنة باغوائكم والنهي في
اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من
حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا
فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآبا
والافترا على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر
بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سوالين
مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم قالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ

اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين منع التقليد اذا قام الدليل على خلافه
لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط
والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة
او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم
كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة
بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم
فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون
انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته
للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب
لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او
بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن
الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب
وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان
كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع
التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحياة
الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد

خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل
سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق
بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم
بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير
الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها
ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة
فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر
والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها
بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا
منكم وادخال الفاء في الجزء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله
او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من
الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ
بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين الآلهة
التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا
بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم ادخلوا يوم القيامة
او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين
لهم يوم القيامة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار قالت

المراد من الخبر الاول فلا خوف في الآخرة و
قوله اولئك فادخل الفاء في الاول ليدل
وقوع عدم الخوف والحزن عند تحقق الـ
وترك في الثاني لان ما قبله لا يقتضيه بل

أخراهم دخولا ومنزلة وهم الاتباع لأولاهم لاجل اولاهم اذ الخطاب مع
الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف
اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا
تعلمون ما لكم او لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم
لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم
ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في
الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من
قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم
او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في
تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة
والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء
للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا
يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم
الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون
فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم
بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم
غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند
غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف
الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها
على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع
الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب
في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها

منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه في الدنيا صار لهم
عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها
والمنادى له بالذات أورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم
وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع
الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو
عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في
المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين
لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر
وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف
مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين
وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار ٥
بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام
ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا

نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه
الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا تعوذوا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤسا الكفرة ما اغنى عنكم
جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ
تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق وهو اوفق
للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا
حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء
الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان
الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما
لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة
الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا
لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه
من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما
وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ
فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون
حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل
تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا
من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا

على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان
يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل جوابا لاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم
بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة
اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان
طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها
دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على
العرش استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه
ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار
بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفي الرعد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له
لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال
من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال
وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد
والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد
في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان
المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال
واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع
المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق
الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض

وما بينهما في ستة ايام وثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السما الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب
وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعا وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب
ما لا يليق به كرتبة الانبيا والصعود الى السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب
فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان
ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع الاحكام وادعوه خوفا
وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته
تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه
صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو
مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي
يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي
نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرا او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف جمع بشير وقد قرئ به
وبشرا بفتح البا مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته
قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء
يستقله سحابا ثقالا بالما جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به
ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه

باحداث القوة النباتية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد
الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث
اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون
الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف
الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر
بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام
الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
بن مالك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال
يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي
غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم
نزول الطوفان قال الملا من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا
لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال
بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية
لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو
ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد
والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبيا قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما
وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشيا لا علم
لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم
من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم

من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف
الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان
لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم
من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وسبعة ممن امن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير
في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي
القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ
لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان
لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح
بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام
ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله
وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة
عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل
ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن
عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم
بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص
لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة
والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في

اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على
المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا
تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل
عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها الهة وليس فيها معنى الالهية لان
المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا
لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات
توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله
بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن امن
منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث
سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم عما بعثوا له همه ذلك
واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين شعر

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما

حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه
قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر
لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي

المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا وإلى ثمود ٥
قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به
لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى أخاهم صالحا صالح بن
عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها
معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف
بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده
بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في أرض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهي
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض ارض الحجر تتخذون
من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن
والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى
تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه
وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به
ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون على
المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا
الناقة فعقروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم
وعتوا عن أمر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام
بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ٥
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم

وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله
اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا
اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم
فدعوا اصنامهم فلم تجبهم فاشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال
لها الكاثبة وقال اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ٥
ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها
من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم ويشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة
ام غنم وصدقة بن المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم
يقدروا عليه اذا انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا
العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان ضحوة اليوم
الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم
فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
قليب بدر فقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا او
ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا إذ قال لقومه
وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على
تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين ما فعلها احد
قبلكم فطوا الباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية
للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة

ثم باختراعها فانه اسواء أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على
الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد
لها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النسل لا قضاء الشهوة بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه
فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون
اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امرأته واهله فانها كانت تسر
الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن
تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم
الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى
مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب
بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي
كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصى موسى التنين وولادة
الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم
على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على
المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل والميزان ويجوز
ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع

او

او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم
خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا
تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط
الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا
احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد
شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذين قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما
كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول
تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون
بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا
اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال
الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية
او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او انعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله
قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل
عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها
حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق
وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا

أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على أن الكفر
بمشيئته وقيل أراد حسم طمعهم بالعود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل
شيء علما أي أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في أن يثبتنا على الإسلام ويخلصنا من الأشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف
ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فأخذتهم
الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فأصبحوا في دارهم جاثمين أي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما
زعموا فإنهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
الجملتين وأتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة جزعه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال
فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم
أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم عليهم
والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا
قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بإمالتين وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا
أهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأمرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال
عفا النبات إذا كثر ومنه إعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا
لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون
بنزول العقاب ولو أن أهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا
في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب

وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا
فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن أهل القرى عطف على قوله
فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل
القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو
في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا أو أمن أهل القرى وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة أو
يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر
الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا
القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين
يرثون الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وإنما عدي
يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء
أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله
مفعولا ونطبع على قلوبهم أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن
نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياقه جواب لو
لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا ويكون
إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي
نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل
كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم
الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد
النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع
على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وما وجدنا لأكثرهم لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من
عهد من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات
ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ

لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل
في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني بالمعجزات الى فرعون وملائه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع
ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب
لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق
على ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه واجب على القول
الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان
الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء
وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم
حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى
على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا او من
بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء
للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية قد غلب شعاعها شعاع الشمس قال
الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل له هو واشراف قومه على سبيل
التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت آراؤهم فاشاروا الى فرعون والارجاء
التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهن

على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير وارجهي من ارجيت كما قراه نافع في رواية ورش
واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها
وقرا حمزة ارجه بسكون الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه
واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة
والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون
بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف
كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار
وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا
للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل
القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم
وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات
ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت
حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه
ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم
وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين ٥
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها
على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك
وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذي اراد به كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة
خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من
الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على

الاصل وقرأ حفص امنتم به على الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي
ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد
لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما
فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا
ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه
الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط
رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا
ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا
لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر
او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن
والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم
ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال
فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه
من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على
يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون
تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا
منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر
بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير
لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق لهم وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من
قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم

ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم
يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او
اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون
فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك
بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما
اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق
القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم
بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة
وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم
القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه
ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم
ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت
به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء
تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك
قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر اعيننا وتشبه علينا والضمير في
به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى فارسلنا عليهم
الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل
نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت
بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من
الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف

عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم
يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف
والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت
الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في
اطعمتهم ويدخل بين ثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد
تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم
عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا
العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى يجتمع القبطي مع الاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في
فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل
على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين
كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما
غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون
ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده
عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او
متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد
عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما
كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه
او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون
جواب لما اي فلما كشفنا فاجؤا بالنكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم
فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب
تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير
للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق

الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت
كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته
اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون
وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح
هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه
وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من
الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا
يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر
بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر
وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل
من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها
مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى
عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان
الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما
بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا
بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا للتنبيه على ان التبار لاحق
لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا
قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال
انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص
الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء
من مخلوقاته واذ انجاكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال

من المخاطبين ومن الفرعون ومنهما يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم
بدل منه مبين وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم وفي الانجا والعذاب نعمة او محنة
عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد هلاك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره
بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم منك
رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره
ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها ○
وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب
ان يصلح في امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تطع من سالك
الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جا موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص اي اختص بمجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم
الملايكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع الكلام من كل جهة تنبيه على
ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك
ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان
رؤيته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي
الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري ولن اريك ولن تنظر الي تنبيه على
انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الراي ولم يوجد فيه بعد وجعل السوال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب
ان يجهله ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه
غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة
بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به ان لا يطيقه وفي تعليق الرؤية ○ ع
بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المتعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطي له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان

كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي
لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما
افاق تعظيما لما راى قال سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السوال
بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه اول من آمن بانك لا ترى في
الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك
وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اعطيتك من الرسالة على النعمة فيه روي ان
سوال الرؤية كان يوم عرفة واعطا التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من
كل شي مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شي بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شي من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت
عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صما كتبها الله
لموسى فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها
على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والها للالواح او لكل شي
فانه بمعنى الاشيا او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها
اي احسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها
فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة
وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتا ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم
في الاخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده
قوله واورثنا القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن
ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلايها او باهلاكهم بغير الحق
صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ
الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب

تكبرهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز أن ينتصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك
الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة لا ينتفعون بها هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه
للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها
إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الإفراد عجلا جسدا بدنا ذا
لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر
روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب فرس جبريل فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله
إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلها وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا
أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر
والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى
حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلها وكانوا
ظالمين واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في
أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير
يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه
سقط الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا بإنزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة
والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا
شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين
معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من
التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام
كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين
وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح أي طرحها من
شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة
ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه

قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب
إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وأبو بكر عن عاصم يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف وتشبيها
بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في
حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا
تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي
ولأخي إن فرط في كفهم ضمه إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه
وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت أرحم بنا منا على
أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل
أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي
المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها
أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها
من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة
إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل
وكثرة جرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون
أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث أنه جعل الغضب الحاصل له على ما فعل
كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت
هو الله أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها
أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها من الألواح المنكسرة هدى
بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام
على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون
معاصي الله لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه
سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في
سبعين من بني إسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال إن لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره
وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم

٢١٦٨

الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل وصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمني هلاكهم وهلاكه قبل ان يري ما راي او بسبب اخر وعني به انك قدرت علي اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون علي اهلاكهم وباغراقهم في البحر فترحمت عليهم بالانقاذ منهما وان ترحمت عليهم مرة اخري لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر علي طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسي لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتي كادت تبين مفاصلهم واشرفوا علي الهلاك فخاف عليهم موسي فبكي ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتي طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فتقوي بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقري بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعني املنا انفسنا واملنا ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه علي لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فسا ثبتها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره وهم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم بمحمد صلي الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الي الله ونبيا بالاضافة الي العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها علي ان كمال علمه مع حاله احدي معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين امنوا به

وعزروه وعظموه بالتقوية وقري بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوه اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الي اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسي قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم مبعوثا الي كافة الثقلين وسائر الرسل الي اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وعلي الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلي سائر الرسل من كتبه ووحيه وقري وكلمته علي ارادة الجنس او القران او عيسي تعريضا علي ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الي الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الي الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها علي ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسي يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون علي الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم علي ما هو عادة القران تنبيها علي ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه يتضمن معني صير او حال وتانيثه للحمل علي الامة او القطعة امما بدل منه ولذلك جمع او مميز له علي ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقري بكسر الشين واسكانها واوحينا الي موسي اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء علي ان موسي لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوي كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا

هذه القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا منها بالفا افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفا بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذلك الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتا والبنا للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السما بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بالتعلم او بالوحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطي البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغيره يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البنا للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الما من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه وكانه تقاولا بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طايفة من الفرق هالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسوال اي موعظتنا انها عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا معذرة او وعظناهم معذرة ٥

ولعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاوهم انجينا الذين ينهون عن السو واخذنا الذين ظلموا بالاعتدا ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر البا وسكون الهمزة على انه بئس كحذر فخفف عنه بنقل حركتها الى الفا ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة يا كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة يا ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا لما رفيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشي يوذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى وان اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يودونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراوهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سو مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرونها

ولعلهم

ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا
وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلام
والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو
يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون وإن يأتهم
عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين
إلى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي في الكتاب
ألا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله
وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى
فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ
هؤلاء أفلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم
المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا يعقلون اعتراض
أو مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون
بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات وإذ نتقنا الجبل
فوقهم أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل
ما أظلك وظنوا وتيقنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو
ولأنهم كانوا يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا
أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها
وإلا ليقعن عليكم خذوا على إضمار القول أي قلنا خذوا أو قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه
بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق وإذ
أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون
قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب ذرياتهم وأشهدهم
على أنفسهم ألست بربكم أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم
إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم
بها منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا
أن تقولوا يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه

وتمكنهم منه صح

بدليل

بدليل أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام
على الغيبة إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم
لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا أفتهلكنا
بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم
أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من الكلام ههنا إلزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على
النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون
أي عن التقليد واتباع الهوى الباطل واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي
آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم
أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام
حسده وكفر به وأعرض عنها فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان
من الغاوين فصار من الضالين روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه
فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو
شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة واتبع هواه في إيثار
الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئته ثم
استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه
وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي
هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث
إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه
أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه فإن حب الدنيا رأس كل
خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله
وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالطرد
والزجر أو ترك لم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على
موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا

بآياتنا فاقصص القصص المذكورة في اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤديهم إلى الاتعاظ ساء مثلا القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا كثيرا من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمن اليمامة أو ذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ

لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ما يريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين أي أخذي شديد وإنما سماه كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة من جنون روي أنه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهديه أحد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت لأن البعض آو إلى الكل قل إنما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله

اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من
الملايكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفايها لا تاتيكم الا بغتة
فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسالونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من
بالغ في السوال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل
هي صلة يسالونك وقيل من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا
وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسوال عنها تحبه
اي تكره لانه من الغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير
يسالونك لما نيط به من هذه الزيادة للمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله لم يوته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا جلب
نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعا العلم بالغيوب الا ما
شا الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار
المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا
عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان
يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو ادم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من
انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليستانس بها ويطمين اليها اطمينان
الشيء الى جزيه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها
اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى الحوامل غالبا
من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجي والذهاب او من
المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها
وقرئ على البنا للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لين اتيتنا صالحا
ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعل اولادهما له شركا فيما اتى
اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه

مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق
شيا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل
فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت
الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه
حارثا في الملايكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث وامثال ذلك لا يليق
بالانبيا ويحتمل ان يكون الخطاب الاول لال قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي
وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة
بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير
في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان
اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركا وهم ضمير الاصنام جي به على تسميتهم
اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام
لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي
ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سوا
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم
افادة الدعا من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها
لحوايجهم فكانه قيل سوا عليكم احداثكم دعاهم واستمراركم على الصمات عند
دعايهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد
امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين انهم الهة ويحتمل انهم نحتوها بصورة الاناسي قال لهم ان قصاراهم
ان يكونوا احيا عقلا امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة
بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم
يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي
انتم وشركاوكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه
ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي ومن

عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته
بهم وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم
لا يبصرون يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه
خذ العفو أي خذ ما عفى لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من
العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم
وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الأفعال وأعرض
عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة
لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر
والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي
وإزعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك
عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم
بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا إياك عن الانتقام ومشايعة الشياطين إن
الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من
طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف
به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على
أنه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع
ضميره تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب
التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية
تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم ويجوز
أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن
يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له
وإذا لم تأتهم بآية من القرآن أو مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه أو هلا طلبتها من الله قل إنما أتبع
ما يوحى إلي من ربي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر من

ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام
والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر
ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا
بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة
متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول أو متكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه
أدخل في الخشوع والإخلاص بالغدو والآصال بأوقات الغدو والعشيات وقرئ
والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن
ذكر الله إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به
غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله
أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام
من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا
له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها
عطية من الله وفضل كما سمي ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه
قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به
وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع
شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إلينا فنزلت
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما
وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال

لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه قال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب
فخذه وقرئ يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وادغام نون
عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالونك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله
في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان
كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك وان كنتم كاملي الايمان فان كمال
الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقا عن المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة
وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او
لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بنا على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي العيان عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد
لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا
محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة
مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه
وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره
ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع
الحال اي اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو

ابن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين ٥
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السما
واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شي منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل ٥
بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دقران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى
الطايفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا
القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال فانظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا
علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه ٥
بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال نعم
قال انا قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما
نكره ان تلقا بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما
تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى
وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطايفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم
وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في
وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك ما
وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون

الي الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الي الموت وهو يشاهد
اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان
فيهم الا فارسان وفيه ايما الي مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين علي اضمار اذكر واحدي ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني
العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة
النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد
الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحي بها في هذه الحال او باوامره
للملايكة بالامداد وقري بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعني انكم
تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلا الدين واظهار الحق وما
يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الي حمل
الرسول علي اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او علي اضمار اذكروا واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا علي عدوك اغثنا
يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام نظر الي المشركين
وهم الف والي الصحابة وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتي
سقط رداوه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو
بالكسر علي ارادة القول او اجرا استجاب مجري قال لان الاستجابة من القول بالف
من الملائكة مردفين متبعين المومنين او بعضهم بعضا من ردفته اذا جئت
بعده او متبعين بعضهم بعض المومنين او انفسهم المومنين من اردفته اياه فردفه وقرا
نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعني انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم وقري مردفين بكسر الرا وضمها واصله مرتدفين بمعني مترادفين فادغمت التا
في الدال فالتقا ساكنان فحركت الراء بالكسر علي الاصل وبالضم علي الاتباع وقري بالاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
علي المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشري الا بشارة لكم

في النصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملايكة وكثرة العدد والاهب ونحوها
وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشاكم
النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله
من معني الفعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشي اذا غشيته اياه
والفاعل علي القراتين هو الله تعالي وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع
امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعني فان قوله يغشاكم النعاس
يتضمن معني تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان
فعل المغشي وان يجعل علي القراة الاخيرة فعل النعاس علي المجاز لانها لاصحابه او لانه
كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها
لم يغشهم كقوله * يهاب النوم ان يغشي عيونا * تهابك فهو نفار شرود *
وقري امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه
اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام علي غير ما وناموا
فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون علي الما فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم علي الما وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اوليا الله وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتي جري الوادي واتخذوا الحياض علي عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا حتي تلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتي تثبت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط علي قلوبكم بالوثوق علي لطف الله بهم
ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتي لا تسوخ في الرمل او بالربط علي القلوب حتي تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الي الملائكة اني معكم في اعانتهم
وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقري بالكسر علي ارادة القول واجرا الوحي مجراه فثبتوا
الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او محاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل علي
انهم اي الملايكة قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المومنين اما علي تغيير
الخطاب او علي ان قوله سالقي الي قوله كل بنان تلقين للملايكة ما يثبتون المومنين
به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اي اعاليها التي هي
المذابح او الروس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الي الضرب او الامر به والخطاب للرسول صلي الله عليه وسلم او لكل احد

من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او
نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة
وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلك او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم
يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على
زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم
او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب
زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم
فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم
اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير
العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل
انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له والاستثناء
من المولين الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه
من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدد
على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء
الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت
بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال خذ قبضة
من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت

والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي
ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع
دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن
بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين
نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء
حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات ان الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل
او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف
عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا
عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء والمضار
ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره
الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ
كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر
بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في
طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل
عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون
به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم

ما مُتِّروا به وقَتلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرًا سعادة كُتبت لهم او انتفاعًا
بالايات لَأسمعهم سماع تفهم ولو أسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولّوا لم
ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا
يقولون للنبي احي لنا قصيًا فانه كان شيخًا مباركًا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى
لأسمعهم كلام قصي يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا
دعاكم وحّد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه
الصلاة والسلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جا فقال ما منعك عن
اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه
فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضًا اجابة وقيل ان دعاءه كان
لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حليته ... فذاك ميت وثوبه كفن

او مما يورثكم من الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه
سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند
ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى
يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله
بينها وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى
شقاوته وقرئ بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل
مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة اتقوا ذنبًا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم منكم
والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الظالمين منكم خاصة
وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه
كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ
لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلط ... جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيًا بعد

الامر باتقاء الذنب عن التعرض للذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل
للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار
قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعًا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة وجعل
لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او
بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه
النعم يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه السلام حاصر
بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحًا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله
لا اذوق طعامًا ولا شرابًا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيًا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة
لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على
الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم او في العقاب او محنة
من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم
لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا أيها
الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق
والباطل او نصرًا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجًا من
الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورًا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم

بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله لهم **والله ذو الفضل العظيم**
تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب
تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إحسانا على عمل **وإذ يمكر بك الذين كفروا**
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك **ليثبتوك** بالوثاق والحبس والإثخان بالجرح من
قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات وليقيدوك **أو يقتلوك** بسيوفهم **أو يخرجوك** من مكة وذلك أنهم
لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت
أن أحضركم لن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت
وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي
أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال الشيخ بئس الرأي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على
حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على
رأيه فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا
رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار **ويمكرون**
ويمكر الله برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن
أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا **والله خير**
الماكرين إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا
يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد**
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول [illegible] إسناده إلى الجمع
إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره
عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما
منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف
فلم يعارضوا سواه مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا في باب البيان **إن**
هذا إلا أساطير الأولين ما سطره الأولون من القصص **وإذ قالوا اللهم**

إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
بعذاب أليم هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن
هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك إنه كلام الله فقال
ذلك والمعنى إن كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره
أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة
على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين **وما كان الله ليعذبهم**
وأنت فيهم بيان لما كان الموجب
لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم
عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك
أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون **وما لهم ألا يعذبهم الله** وما لهم مما يمنع تعذيبهم
متى زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد الحرام** وحالهم
ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة وإحصارهم عام
الحديبية **وما كانوا أولياءه** مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء **إن أولياؤه إلا المتقون**
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله **ولكن أكثرهم لا يعلمون**
أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل
كما يراد بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت** أي دعاؤهم أو ما يسمونه
صلاة أو ما يضعون موضعها **إلا مكاء** صفيرا فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ
بالقصر كالبكا **وتصدية** تصفيقا تفعلة من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف
بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون
أيضا **فذوقوا العذاب** يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب أليم **بما كنتم تكفرون** اعتقادا

او عملا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ نزلت
في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من من العرب
وانفق عليهم اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم
اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل
الله دينه واتباع رسوله فَسَيُنْفِقُونَهَا بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ٥
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ندما وغما
لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثُمَّ
يُغْلَبُونَ اخر الامر وان كان الامر الحرب بينهم سجالا قبل ذلك وَالَّذِينَ كَفَرُوا اي
الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ يساقون لِيَمِيزَ
اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة
بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى
بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضم
الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ كله أُولَئِكَ
اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالخبيث والى المنفقين هُمُ الْخَاسِرُونَ الكاملون في
الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يعني ابا سفيان واصحابه
والمعنى قل لاجلهم إِنْ يَنْتَهُوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يُغْفَرْ لَهُمْ مَا
قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للمفعول
وهو الله تعالى وَإِنْ يَعُودُوا الى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ الذين تحزبوا
على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
فِتْنَةٌ لا يوجد فيهم شرك وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وتضمحل الاديان الباطلة فَإِنِ انْتَهَوْا
عن الكفر فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن
يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما
يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وَإِنْ تَوَلَّوْا ولم ينتهوا

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نِعْمَ الْمَوْلَى لا يضيع
من تولاه وَنِعْمَ النَّصِيرُ لا يغلب من نصره وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ان الذي اخذتموه
من الكفار قهرا مِنْ شَيْءٍ مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ مبتدأ خبره
محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم
كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه فان المراد قسم الخمس على المعطوفين وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته
وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه
الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف
سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى
بنو هاشم وبنو عبد المطلب لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما
فقال عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك
الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال
عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو
هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم
كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة إِنْ كُنْتُمْ
آمَنْتُمْ بِاللَّهِ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه جعل
الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به
لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى
عَبْدِنَا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ المسلمون والكفار
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة إِذْ أَنْتُمْ
بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ
بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى

علي الخمسة

بالعرفي

التعدي من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو يا كالدنيا والعليا تفرقة بين
الاسم والصفة فجا على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا **والركب** اي العير او
قوادها **اسفل منكم** في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على عنها وتوطين نفوسهم على ان لا تخلو مراكزهم ويبذلوا
منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا
ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي
فيها الا بتعب ولم يكن فيها ما خلاف العدوة القصوى وكذا قوله **ولو تواعدتم**
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح
ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا **ولكن** جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد **ليقضي الله امرا كان مفعولا** حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه
وقهر اعدائه وقوله **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة** بدل منه
او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة
للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله
في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي
بفك الادغام للحمل على المستقبل **وان الله لسميع عليم** بكفر من كفر وعقابه
وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** لجبنتم **ولتنازعتم**
في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلم** انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع **انه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها وما يغير
احوالها **واذ يريكموهم** اذ **التقيتم في اعينكم قليلا** الضميران مفعولا يرى وقليلا
حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في

اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم
مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الوقعة
فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا
الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشروط **ليقضي الله امرا كان مفعولا** كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان
المراد بالامر ثم الالتقا على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
وحزبه **والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة** حاربتم جماعة
ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقا مما غلب القتال **فاثبتوا**
للقائهم **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره **لعلكم تفلحون** تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان
العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدائد ويقبل اليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال **واطيعوا الله ورسوله**
ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد **فتفشلوا** جواب للنهي وقيل عطف
عليه ولذلك قرئ **وتذهب ريحكم** بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها
في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور **واصبروا ان الله مع الصابرين** بالكلاءة والنصر **ولا تكونوا كالذين**
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير **بطرا** فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا
ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين
مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده
ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان
جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر **والله بما يعملون محيط** فيجازيكم عليه **واذ**
زين لهم الشيطان مقدر باذكر **اعمالهم** في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم** مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجيرة لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى

الفئتين وافضل الذابين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقي الفريقان نكص على عقبيه رجع
القهقري اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم
اني اري ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راي
امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راي الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد
الحارث بن هشام فقال له الي اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال له اني اري ما لا ترون ودفع
في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتي بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلي
هذا يحتمل ان يكون معني قوله اني اخاف الله اي اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راي فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله
الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون
مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الي
الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف
لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتي تعرضوا لما لا يدي لهم به
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الي زهاء الالف ومن يتوكل علي الله جواب لهم فان
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما
ولو تري ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفي الذين
كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف تري والمفعول محذوف اي ولو تري الكفرة او
حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفي ويدل عليه قراة ابن عامر بالتاء ويجوز ان
يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال
من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو علي الاول حال منهم او
من الملائكة او منهما لاشتماله علي الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف علي يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب
الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها
وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام

ليس بظلام للعبيد عطف علي ما للدلالة علي ان سببيته مقيدة بانضمامه
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتي ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب هؤلاء كداب آل فرعون
والذين من قبلهم كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء
ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الي ما حل بهم
بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها علي قوم مبدلا
اياها بالنقمة حتي يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الي حال اسوا
كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها
الي غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم
حتي يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالي علي تغييره متي يغيروا
حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة علي كفران
النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر
والتغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من
غرقي القبط وقتلي قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا اصروا علي الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا
يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين علي الكفر بانهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه علي ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف
وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من
الذين كفروا بدل البعض والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا
ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الي مكة
فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معني الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة
وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين
وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب

فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم
من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة
وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل
التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما تخافن
من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح
إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم في الحرب
فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع
الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم
أو منهما على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ والنهي
عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ
ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم والذين كفروا
والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف
لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على أنهم لا يعجزون
بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين ٥
والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا يحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله
ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا إن كسرت إن إلا أنه تعليل على
سبيل الاستئناف ولعل الآية إزاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ
العدو وقيل نزلت في من أفلت من قتل المشركين وأعدوا أيها المؤمنون لهم
لناقضي العهد أو الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي
قالها ثلاثا ولعله خصه بالذكر لأنه أقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط
مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون
به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للإعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة
قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف

إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون بتضييع العمل أو نقص الثواب وإن جنحوا
مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ
أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها
فيه قال:
السلم تأخذ منها ما رضيت به ** والحرب تكفيك من أنفاسها جرع
وقرئ فاجنح بالفتح وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن
الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم إنه هو السميع لأقوالهم العليم
بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة
نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله
فإن حسبك الله وكافيك قال جرير:
إني وجدت من المكارم حسبكم ** أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا وألف بين قلوبهم
مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم وبيانه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
أي تناهى عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض
من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة
فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا
يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم أنه كيف ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل
الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم
فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها
النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على
المفعول معه كقوله:
فحسبك والضحاك سيف مهند ** إذا كانت الهيجاء واشتجر القنا
أو الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله
أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت
ولذلك قال ابن عباس نزلت في إسلامه يا أيها النبي حرض المؤمنين على
القتال بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على
الموت وقرئ حرص من الحرص إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا شرط في معنى

الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتا في الايتين ووافقهم البصريان في وان
يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر
لا يثبتون ثبات المؤمنين رجا الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان
يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين
وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى
الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد
والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيهما وفيه
لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان
يكون له اسرى وقرا البصريان بالتا حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ
فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض
الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد ثواب الاخرة
او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار
المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا والله
عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه
بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال
ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى
بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفدا مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن

عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان
اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطا
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في
اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما
لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفدا عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان
فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم
فنزلت والفا للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا
ونحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب
تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا
الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى وقرا ابو عمرو من الاسرى ان يعلم الله في
قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا روي انها
نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما
يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم فقال
وما يدريك قال اخبرني ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول
الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني
الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما
عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم
اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم

حكيم ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم
يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة كانه بتوليه
صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا
ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم
اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة
بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي
بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض
تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في
الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام
بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من
الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة
ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم
بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن
واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من التوارث
والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال فانا شفيع له يوم القيامة ٥
وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش
وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براءة مدنية وقيل الا الآيتين من قوله تعالى لقد جاءكم رسول

وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب
لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال
المنافقين واثارها والبحث عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم واياتها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة
او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت
الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان نزلت بينهما فرجة
ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريء من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله
والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان
كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي
العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل
المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر
شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة
والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها
لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء
ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر امير الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر
فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على
العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص
بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدلك

علمه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم
غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله
عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج
ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون
والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهدهم ورسوله عطف على المستكن
في بري او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان ولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الغدر والكفر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم
على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من
المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد
الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد
ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا
انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم
التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا
مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما
ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلاة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان

تارك الصلاة ومانع الزكوة لا يخلى سبيلهم ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم
لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين
المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه
ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك
الامن والامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما يدعوهم اليه فلا بد
من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغر
صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام
او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على
الاخيرين حال من العهد وللمشركين اي ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفا
وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية
والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله
وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي على علة فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان ظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش • كال السقب من رال النعام
اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين القرابة ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى
الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم
بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافي لثباتهم على العهد المؤدي الى عدم مراقبتهم عند
الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد
اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم

عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهدهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجرا للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الغدر والكفر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم لا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان

تارك الصلاة ومانع الزكوة لا يخلى سبيلهم ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتدا لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن والامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما يدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغر صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين اي ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثنا او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثنا منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

وخبرتماني انما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وقليب

اي على علة فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان ظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش ... كال السقب من رال النعام

اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافي لثباتهم على المودية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم

ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون ولا عقيدة تزعهم ولا
مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف
عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا
عرضا يسيرا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل
اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفا للدلالة على ان اشتراهم اداهم
الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما دل عليه قوله لا يرقبون
في مومن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهو
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفين واطعمهم
واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل
الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او
خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه
من الايمان او الوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ايمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ايمة الكفر موضع الضمير للدلالة
على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقا بالقتل وقيل المراد
بالايمة روسا المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم
وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ايمة بتحقيق الهمزتين
على الاصل واظهارها لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا
لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده
واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي
الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن
عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو
ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يومنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان
فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان
ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة الموذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في
الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين
على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا
في امره بدار الندوة على ما ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا

نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي
به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم
فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مومنين
فان قضية الايمان ان لا تخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم ويشف صدور قوم مومنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبا قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا
منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء
ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب
بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب
قوم تسبب لتوبة آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمومنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون
الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم
وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون
يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل
هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس
عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي عليه السلام في القول وقال

يذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك
وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن
المسجد الحرام وقيل هو المراد من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى
الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن
عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم
فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى
الزكوة ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد
الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقدير
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية المسجد والمعنى انكار ان يشبه
المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة
ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون
الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون
بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلا رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
فيه او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب
ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر
به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه

لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في
المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت
تجارتنا وبقينا ضايعين نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا
الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع
الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري
دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي
الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا
يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين
وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين
ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي
تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن
وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن
وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وغيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان
ابن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي
الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم
تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا

يثبتون فيها لكن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الي خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا
بها وامنوا علي رسوله وعلي المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه علي اختلاف
حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر علي اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل
بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك علي من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم
جاؤا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف
نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصي فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا
مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتي نصيب
شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضي
فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا الينا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
علي ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب
وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا
يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك سائر المساجد علي المسجد الحرام في المنع وفيه دليل علي ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع
وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب
والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد
انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا
لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ
عائلة علي انه مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الامال

الي الله ولينبه علي انه متفضل في ذلك وان الغني الموعود يكون لبعض دون بعض
وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما علي ما ينبغي كما بيناه في اول
البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه
بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعني انهم يخالفون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ
سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتي
يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزي دينه اذا قضاه عن يد
حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعني منقادين او عن يدهم بمعني مسلمين بايديهم
غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غني ولذلك قيل لا تؤخذ
من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعني عاجزين اذلاء او من الجزية بمعني نقدا مسلمة
عن يد الي يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون
اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الاية
يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم ياخذ الجزية من المجوس حتي
شهد عنده عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال
سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين
واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي
العرب لما روي الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب
وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني
والفقير وقال ابو حنيفة علي الغني ثمانية واربعون درهما وعلي المتوسط نصفها
وعلي الفقير الكسوب ربعها ولا شيء علي فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير
ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك
لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد
مائة عام املي عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله
والدليل علي ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
علي التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين علي انه عربي مخبر
عنه بابن غير موصوف وحذفه في القراءة الاخري اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الي تسليم النسب وانكار

الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه
استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي
للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في
الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي
قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل
اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين
قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة
والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهيا على فعيل للتي شابهت
الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله
وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح بن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا
المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما اطاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته
فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا
نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد عليه
السلام بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره
باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد
عليه السلام بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد
الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع
الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره
للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها
فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم

منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا
يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما
نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة
الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز
اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما
قوله من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام
فيما اورده الشيخان عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا
اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ٥
فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد
النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل
الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي
الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل
الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول
او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا
عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره
وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب
تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم
النون ان عدة الشهور مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم
خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا ٥
والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم
واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم
اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب

وقرنوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم واشهر
الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطايف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهو مصدر كف عن الشي فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان
الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير
حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة
ياء وادغام اليا فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر نسأه
اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البنا للمفعول
وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه عاما يحلون النسي من الاشهر سنة ويحرمون
مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة
بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او
حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البنا للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم
واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة
الى الاهتدا يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به
كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم
من الطايف في عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم
بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا
فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا اي لا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور
عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل

شي وقيل الضمير للرسول اي لا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة
ووعده حق والله على كل شي قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما
نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف
الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله النصر حتى
نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم
باخراجه او قتله سبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على
لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلا ثور وهو
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني
لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه
وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه
وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة
معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او
دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك
بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده اياه بالملائكة
في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب
عطف على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها
وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله
عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم وثقالا لاعنه لمشقته
عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم
وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير

اذا اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه
نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو
استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد
مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون
في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه
في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو والمعاتبة
عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب
وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين
فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفدا
واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث
على الجهاد ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فضلا ان
يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى
وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث
على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في
ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة
وقرئ عدة بحذف التا عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن
مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره
انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا
مع القاعدين تمثيل لالقا الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلى الله عليه وسلم

لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى
لو خرجوا زادوا لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثنا ولاجل هذا
التوهم جعل الاستثنا منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم
ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم
والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك
وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما
خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك
الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جا الحق النصر
والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والايتان
لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله تعالى
لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة لاعتذارهم
تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول
ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة
بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب
ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنسا الروم لما روي ان جد
ابن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنسا فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك
بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة
لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة
ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر
او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحمدوا بانصرافهم
واستحمدوا آراءهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
والحكم به من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم
وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب

السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان
لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا
احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص
بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء
او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا
معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة
في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان
لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل
له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم
وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل
على ان الفعل لله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا فيموتون كافرين بسبب ما يكابدون لجمعها
وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك
استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
من جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ
حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من
الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا
ومتدخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك
يعيبك وابن كثير يلمزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت

في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نابت مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما
اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة
او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون ان يغنينا من
فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين
مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا
من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من
السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه
عليه السلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة
والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا
ونيتهم ضعيفة فيه فتستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام
نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه السلام
كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من
يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد
او بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن
لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين
فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله
وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء

القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر
لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء
وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية
يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف
وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر
وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله
على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج عنهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول
ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا
على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله
يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام
مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو
رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على
انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا
على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن
بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا
ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه
او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا
انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق يفاعل من الحد فان له
نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك
الخزي العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم

ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل
كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر
ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فاخبر الله نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من
امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه السلام والطعن فيه
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
ولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على
النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما
وهو الله وان تعف بالتاء والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم
وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على
عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم
لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخرجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة

والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء آثارهم
وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا أو
كالخوض الذي خاضوه أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا في الدارين وأولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح أغرقوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح وثمود أهلكوا
بالرجفة وقوم إبراهيم أهلك نمرود ببعوض وأهلك أصحابه وأصحاب
مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى
الشر أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم أي لم يكن من عادته
ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في مقابلة
قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر
الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع إن الله عزيز
غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الأشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة
تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الأحمر في جنات عدن إقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله
لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيهما يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود
لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو إلى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا من جنس
ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه
بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها
أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات
في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال
ورضوان من الله أكبر لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الرضوان
والفوز باللقاء وعنه عليه السلام إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك

يعني الكل

قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ذلك أي الرضوان
أو جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا أيها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود واغلظ
عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله
ما قالوا روي أنه عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس
وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر
بعد إظهار الإسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل
فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك
إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله
فهربوا أو إخراجه وإخراج المؤمنين من المدينة أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض
رسول الله وما نقموا وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم إلا أن أغناهم الله
ورسوله من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى مفرغ عن أعم المفاعيل أو العلل فإن
يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وإن يتولوا
بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب
أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق
لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية فارجعا
حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم
يقبلها ثم جا بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون
الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه
يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله
ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من
عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في
انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون فيه فيما بينهم
من المطاعن وتسمية الزكاة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك
الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون
بالضم المطوعين المتطوعين من المومنين في الصدقات روي انه عليه
السلام حث على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى
صولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم
بن عدي بمائة وسق تمر وجا ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا ريا ولقد كان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لغنيين
عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في
الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن سخر الله منهم جازاهم على
سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر
لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما

نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان
عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه
ان يستغفر له ففعل فقال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزلت سوا عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم
من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما
وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة
والسبعين والسبعماية ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو
كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق
والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلال
والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي
بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة
الله وفيه تعريض بالمومنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج
وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمومنين تثبيطا قل نار
جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها
او انها كيف ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكا
كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم
لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان

اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة اي الخرجة الى غزوة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسا
والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه
ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت
وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد
من الصلاة الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله ابدا يعني الموت على الكفر فان الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه
لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال
والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا
انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله
ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول
منهم اولوا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر
رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي
لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول
من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو
خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور العين لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع
خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني
اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا

والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر
اذا امهد العذر بادغام التا في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقا الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر
اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر
وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة
فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب
كذبوا الله ورسوله في ادعا الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفا ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة
وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما
وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين
لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسي فكيف المحسن ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم عطف على الضعفا او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل
ابن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
ابن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم
يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه
قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا
واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا
حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا
يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على
الذين يستاذنونك وهم اغنيا واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناة والانتظام
في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا
يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة

قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من
اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى
الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا ۵
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام العلة
كانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله
وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله ولا يهتك
سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب
والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من
الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما
ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند
الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض ۵
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في
الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف

ينفق وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال اللهم صل على ابي اوفى لانه منصبه عليه السلام فله
ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق
لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم ۵
سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه
وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية كانوا سبعين والذين آمنوا حين
قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن الزبير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم
باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين ومن اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة
رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية
والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في
سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول
بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف ۵
مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف
على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمردهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفي عليك
حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا
ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته وصلى ركعتين فرآهم فسأل
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احل حتى اومر
فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو

اظهار الندم والاعتراف بالذنب وآخر سيئا وهو التخلف وموافقة اهل النفاق
والواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد
منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب
ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من
اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها
وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف
عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا ۝
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم
والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز
ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو
التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل
اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او
شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عليه كما رأيتم وتبين لكم
وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم
تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف
امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو
وهما لغتان لأمر الله في شأنه اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما
يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله
غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما
رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله تعالى والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن

وصفنا

وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا
مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه
مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه ۝
وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء ۝
وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي
قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا
وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق
بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه
بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على
جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلاة والزكاة والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء
اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى
الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد
رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه هو مسجدكم هذا مسجد
المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر ۞ اقوين من حجج ومن شهر
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون
عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه من ادناء المحب

حبيبة فيل لما نزلت مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام
اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخا قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند
الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء
فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة
خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار قاعدة هي اضعف القواعد
وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط
في النار وانما وضع شفا جرف وهو ما جرفه الوادي في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في
النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه
عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا
على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار
لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس
بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوا
بالتنوين على الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بنا وهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف المفرد واخبر عنه بقوله ريبة في
قلوبهم شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم
فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا
يزال رسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثنا من اعم الازمنة
وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع
بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتها وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع

قلوبهم

وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البنا للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل اموالهم
وانفسهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم
المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى
الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في
التورية والانجيل والقرآن مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده
من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك
هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة
وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر
على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة
للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمايه او لما
نابهم في السرا والضرا السايحون الصايمون لقوله عليه السلام سياحة امتي
الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السايحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن
المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم
خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله
اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل
وهذا مجملها وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو
العدد التام والثامن مبدا تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية
وبشر المؤمنين يعني به هؤلا الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المؤمنين موضع
ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك
وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير
الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام
قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال

استغفرن لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الي الابوآ فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
لي وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان
ماتوا علي الكفر وفيه دليل علي جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه
دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه السلام لابيه الكافر فقال وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم عليه السلام اياه
لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه
قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو
لله بان مات علي الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم
لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور علي الاذي والجملة
لبيان ما حمله علي الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم
ضلالا ويواخذهم مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتي يبين لهم ما يتقون
حتي يتبين خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر
لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا علي الامر الاول في القبلة والخمر
ونحو ذلك وفي الجملة دليل علي ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شي عليم فيعلم امرهم
في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربي وتضمن
ذلك وجوب التبري عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب
عليه ولا يتاتي لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبروا عما عداه حتي لا
يبقي لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف وبراهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو حث علي التوبة والمعني ما من احد الا وهو
محتاج الي التوبة حتي النبي عليه السلام والمهاجرون والانصار لقوله تعالي وتوبوا
الي الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من
تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبيا والصالحين من عباده الذين
اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر
يعتقب العشرة علي بعير واحد والزاد حتي قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء
حتي شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات علي الايمان
او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في منهم

وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقري من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه علي انه يتاب
عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف
رحيم وعلي الثلاثة وتاب علي الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتي اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور
وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخط الله الا اليه الا الي استغفاره ثم تاب عليهم
بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخري ليستقيموا علي توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب
وان عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله قولا وعملا
وقري من الصادقين في توبتهم واناتهم فيكون المراد به هولا الثلاثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي
عبر عنه بصيغة الامر للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان اباخيثمة بلغ
بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء
ورسول الله صلي الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ
سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلي الله عليه وسلم طرفه الي الطريق فاذا
براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلي الله عليه
وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الي ما دل عليه
قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظما من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون
موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من
عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا
به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين علي
احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه علي ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه
سعي في تكميلهم باقصي ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه

سعي في تحصيلهم باقصى صيانتهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا
يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا
سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من
فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع
على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة
تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلم لم تعتبر
الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي
المرصاد وقيل للاية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى
النفر وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى
اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا
لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذروا
البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب كما امر
الرسول عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على
القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار

فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من
تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون
واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم
يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم
يرهم احد قاموا وان يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف
الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم
وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه
حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان
تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط تنزل منه الاحكام والتقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون صفا
من الملائكة

سورة يونس مدنية وهي مائة وتسع آيات وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة
من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الاي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته
لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه

ان اوحينا وقرئ بالرفع علي ان الامر بالعكس او علي ان كان تامة وان اوحينا بدل
من عجبا واللام للدلالة علي انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم
الي رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب
ان الله لم يجد رسولا يرسله الي الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور
نظرهم علي الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا
الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة
فيكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قل من احد ليس
فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به
ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان
السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطي باليد واضافتها الي الصدق لتحققها
والتنبيه علي انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا
يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر
علي ان الاشارة الي الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة
للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوي
علي العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات علي ما اقتضته حكمته وسبقت به
كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وتنزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء
محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد
علي من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم
الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير
اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادني تفكر فينبهكم علي انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الي غيره فاستعدوا للقائه وعد
الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر
مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه
واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم
وقيامهم علي العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك

ظلم عظيم وهو اوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم
وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه
علي ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض
وانه تعالي يتولي اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب
الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله
اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين
علي اعمالهم كان مرجع الجميع لا محالة ويؤيده قوله من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه
ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل
الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء
فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن علي القلب بتقديم اللام
علي العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت
وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك علي انه خلق الشمس نيرة
في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير
لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله
لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في
معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه
مقتضي الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل
فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات علي وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم علي التفكر
والتدبير ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها
وسكنوا اليها مقصرين هممهم علي لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا
يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه علي ان الوعيد علي الجمع بين الذهول عن
الآيات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير
الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه

لعاجل عن التامل في الآجل والاعتداد له اولئك ماواهم النار بما كانوا
يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك
الحقايق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ع
ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل
منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة
والرديف له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب
على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري
او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر
دعواهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل
المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه
واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع
تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل
الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه
ما حذف لدلالة ما بقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر
ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية
كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه اي مضطجعا او قائما او قاعدا وفائدة الترديد
تعميم الدعا بجميع احواله [illegible] المضار فلما كشفنا عنه ضره مضى على طريقته
واستمر على كفره او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه مر كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما قال

وصدر مشرق اللون … كان ثدياه حقان

الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم

يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف
على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك ومثل
ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة
في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف
تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الافعال وكيفيتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت
بقران غير هذا بكتاب نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت وما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على
ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي
ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب
عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي
تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض
بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت
ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على
لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه [illegible] لارسل به غيري وقرئ
ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء
بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا
مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى انه
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد

عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذ فصاحته فصاحة
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع
واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به
من الله افلا تعقلون اي فلا تستعملون عقولكم بالتفكر والتدبر لتعلموا انه ليس
الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نفا دعا اضافوا اليه كناية او تظليم
للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته
فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى
تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا فيما اهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانوا
كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع
الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده
قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم
او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في
السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون
من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور
مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وعن الشركاء
الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موجودة على الفطرة او متفقين
على الحق في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال
في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة
واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم
الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك
المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الايات التي اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم
لجحودكم ما نزل عليه من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة
وسعة من بعد ضراء مستهم قحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال
في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم فطفقوا يقرحون في آيات
الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل

على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد
وهو من الله الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام
وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب
يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب للمبالغة فانه
تذكرة لغيرهم ليستعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك
الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف
شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير
اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان
دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد
فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة
الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر
محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا على انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر
مؤكد اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته
والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه
البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما
مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت
من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم
قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن
كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على

الاصل بالأمس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال
خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله
وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام
دار السلامة من النقص والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك
او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم
الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة
والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
هوان والمعنى لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير
وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها
وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل والتضعيف او كانما اغشيت واولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على
زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم
من احد يعصمهم من سخط الله او من عنده يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت
لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا
يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما
يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم
نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه

ثم اذا دخل اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ... عند الله ... فيقعدون ... واوقفت الجنة ... الحجاج ... اليه وسلم الله عليهم ...

وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم
انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله
الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا فيها وقيل المراد بالشركاء الملائكة
والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا
عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام
تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها
المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء
اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة
لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم
ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من
السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من
كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات
مع كثرتهما وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن
يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في شيء من ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم
اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق
الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة
الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما
حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤ
الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا

عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدؤ الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية الدلالة الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي
بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا
يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا
اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة
والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او
كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد
ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى
على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من
ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم
والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا ومن الحق حالا منه وفيه دليل
على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه
مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه لانه خبر لكان مقدرا او علة ٥
لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت انه من الشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه
الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه
مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من
رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل
بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل يقولون افتراه محمد

ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم
وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم
والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين ان
الله اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن
اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا
به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا
بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم
انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه
قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن
التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين
من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب
عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل
بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك
فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم
فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما
اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنه وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا ٥
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم
عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه
ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره
وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع
به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك
ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون

وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار ه
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان
الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم
يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا
وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من
النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة
ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او المصدر محذوف اي حشرا
كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى
مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق
استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم
الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب
في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في
الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد
على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها
على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول ينسب
اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب
الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد ه
استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا

ما شاء الله ان املكه ولكن ما شاء الله كائن من ذلك لكل امة اجل مضروب لهلاكهم
اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون
فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا
يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب تستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال
وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم
لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال او عرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني
وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن
امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد
المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل
به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع
به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه
لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو
من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم
بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر
وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او
لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر
الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء
بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير انما تناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته
تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن

لاخلف فيه **ولكن اكثرهم لا يعلمون** لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحياة
الدنيا **هو يحيي ويميت** في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته
والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا **واليه ترجعون** بالموت او النشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال وقبائحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من
الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا بها
من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمقاعد من درجات
الجنان والتنكير فيها للتعظيم **قل بفضل الله وبرحمته** بانزال القران والباء متعلقة
بفعل يفسره قوله **فبذلك فليفرحوا** فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل
الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره
اي فبمجيئهما فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي
مرفوعا وقيل انه قرئ فافرحوا **هو خير مما يجمعون** من حطام الدنيا فانها الى الزوال
وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعونه
ايها المخاطبون **قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** جعل الرزق منزلا لانه مقدر في
السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم
دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال **فجعلتم منه حراما وحلالا** كـ
مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قل
آلله اذن لكم** في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه **ام على الله تفترون** في نسبة ذلك
اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بقوله ارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله **وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب** اي شيء ظنهم **يوم القيامة** ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم
ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب **ولكن اكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة **وما تكون في شان** ولا تكون
في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في **وما تتلو منه**

له لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون بالشان فيكون التقدير
من اجله ومفعول يتلو **من قران** على ان من تبعيضية مزيدة لتاكيد النفي وللقران واضماره
قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب بعد تخصيص من هو
راسهم ولذلك ذكر حيث خصص ما فيه فخامة وذكر حيث عمم ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه **اذ تفيضون فيه** تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي **من
مثقال ذرة** يوازن نملة صغيرة او هباء **في الارض ولا في السماء** اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام
في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها **ولا اصغر من ذلك ولا
اكبر الا في كتاب مبين** كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي
كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ **الا ان اولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة **لا
خوف عليهم** من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** بفوات مامول والاية كمجمل فسره قوله
الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له **لهم
البشرى في الحيوة الدنيا** وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه في الرؤيا
الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع **وفي الاخرة** بتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا
النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى **لا تبديل
لكلمات الله** لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده **ذلك** اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين **هو الفوز العظيم** هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله **ولا يحزنك قولهم** اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى **ان العزة لله جميعا** استئناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم **هو السميع** لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها **الا ان لله من في السموات ومن في الارض**
من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد
منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله **وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء

ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون
الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع
الذين يدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم
لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد
برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل
لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه
ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا
لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا
سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه
دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد
فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف
اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او
مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء
المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم
وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي
على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم
فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر
شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا وقد قرئ به وعن نافع
فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي

وجه يمكنكم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي
وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضا ولا تنظرون
ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله
عليكم واتهامكم اياي لاجله او تفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على
الله لا تعلق له بكم يثيبني آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه
لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة
وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه
من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم
لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده
من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة
المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم
في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم
في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله
وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل
موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها
وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا
على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه
واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم فحذف المحكي بالقول
لدلالة ما قبله ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف
بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي محذوف قولهم
ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقولهم
سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى
للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا

اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر
والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم
حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا
قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم
به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء أتيتم
إن الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر لا حقيقة له ويحق الله
الحق بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما
آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل
دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون
والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله
كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم أن يفتنهم ان يعذبهم فرعون
وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ
كان بسببه وإن فرعون لعال في الارض لغالب فيها وإنه لمن المسرفين
في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى
لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه
المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره
ان دعاكم زيد فاجيبوه ان قدرتم فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم
الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين

من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي
ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ اي
اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة
واجعلوا بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة
يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها وأقيموا الصلاة فيها امروا بذلك اول
امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم
واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد
والصلاة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب
الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من
اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا
ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه
لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت
ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله
ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحو وقرئ واطمس بالضم واشدد
على قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام
لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة
فلا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء
اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر اي جاوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو
من فعل الموازن لفاعل كضعف وضاعف فأتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى
اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي

آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر
على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول
وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك
اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين
المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب
ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك
وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا
يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا
على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن
شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه
من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل
على كمال قدرته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني
اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم
من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في
امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام
الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك
فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير
فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في
كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما
انزل او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال

عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
منه امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى العلم
لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من
الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا
تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو
جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا
العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا
كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر
فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ولم يؤخروه الى
حلوله الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز
ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان
المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمنت اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم
الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس
عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث
وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي
مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى
الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل
القدرة في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا
مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه
فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته وتوفيقه

فلا تجهد نفسك في هدا فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه
وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم
بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد
الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب صنعه لتدلكم
على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني
الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في
موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول
باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني
معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي
رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا
ننجي المؤمنين كذلك الانجا او انجا كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا
علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها
على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما
تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي
بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي
وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله

امرتك الخير فافعل ما امرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نسب

وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق
بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ
الافعال كلها كذلك سوى الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين
والاستبداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلاة باستقبال القبلة
حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته م
فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعا وان
يمسسك الله بضر وان يصبك فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان
يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير

والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات على انه سبحانه
متفضل بما يريد لهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
رسوله والقران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي
لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال
عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع
ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله
بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على
السراير اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس
فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما
لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد
والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما
يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته على البنا للمتكلم
وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او
خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل ان مفسرة لان
في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغرا على التوحيد او الامر
بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم
منه اي من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا
ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض
عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز

ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل
مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال
وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او في الاخرة وهو
وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى
اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم
وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب
وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون
عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم
وقرئ يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن
وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني ويثنئن
من اثنان بالهمزة كابياض ويثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله
والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا ○
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم
وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى
بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين
مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما بينهما وما فيهما كما مر
بيانه في الاعراف او ما في جهة العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه
كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلا وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام

هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق
بخلق اي خلق ذلك الخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها
وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه
كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاحسان الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن
والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل
فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعته والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به
او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر
على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى على
اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا بانكاره وتعده من قبيل ما لا
حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا
يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم اي ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم
وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة
منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ
في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم
وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب
التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس
مبتدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا
الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فان كان محلا باللام افاد الاستغراق
ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما

يوحى اليك بترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وضائق
به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به
مبهم تفسيره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك
ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه
عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما
يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض وادعوا
من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في
كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة
يقينهم فلا يغفلون عنه فلذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا
ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور
عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد
واقناط من ان يجيرهم من بأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام
راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة
وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عند الله وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في
الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى
الطلب والطلب على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم
في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء

اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه خليل يوم مسغبة ۞ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم
يريدوا بها وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لا يعمل على ما ينبغي وكان
كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ۞ ولا خارجا من في زور كلام ۞
وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما
ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم
على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على
بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد
من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التوراة فانها
ايضا تتلوه في التصديق والبينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان
الرسول عليه السلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في
يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين ۞
ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على
بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ۞
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد
كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم

بما تحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها
ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم
لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله
في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب لكنه
اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله فكانه
العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم
من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما
حصلوا فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا
احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون مثل الفريقين الكافرين والمؤمنين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه
عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره
بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله. الصابح فالغانم فالآيب. وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل
يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل
فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا
الا الله بدل من اني لكم او مفعول لمبين ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة للمعذب لكن يوصف
به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب
الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة

صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو
او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة
وانتصابه بالظرف على حذف المضاف او وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ
بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل
يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة
واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم
اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
باتيان البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان
البينة وحدها مبهمة الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم
بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء
بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس
احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله
فانه المامول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوه طردهم انهم
ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم
بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك
الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعلموا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس
بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه او فضله حتى جحدتم فضلي ولا
اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه
على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري
اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله
لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان
قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في
الجهر والاسناد الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من
غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم

قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا فأطلت او اتيت بانواعه فأتنا
بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا
تفيد فينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء عاجلا او آجلا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب والجملة
دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم وتقرير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي وكذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جدالهم كلام بلا
طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل يغويكم ان
يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم أم يقولون افتراه قل إن افتريته
فعلي إجرامي وباله وقرئ أجرامي على الجمع وأنا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد
الافتراء الي وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء
واصنع الفلك بأعيننا ملتبسا باعيننا عبّر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء
ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
العذاب عنهم إنهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع
الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة عن الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون
له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون اذا
اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل
او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
حتى اذا جاء أمرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى
هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفورها
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوان المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين

اي من كل صنف ذكر وصنف انثى وأهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد
امرأته وبنوه ونساؤهم إلا من سبق عليه القول انه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنون من غيرهم وما آمن معه إلا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة
بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها
ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله
وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او للمكان او للمصدر والمضاف
محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم على ان
المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر وصلته
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو
او الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسي قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي
وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح وقرئ مرساها ايضا من رسي وكلاهما يحتمل الثلاثة
ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله إن ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته
لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا
مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهي ما يرتفع من الماء
عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين
السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال
خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ
ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله
فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك فالمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه
عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا اي اركب معنا
في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن
كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة عنه وفي الثالث في
رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة

واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وهو الله تعالى او الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة ويكون معناه لا معصوم الا المرحوم كقوله عيشة راضية وقيل الاستثنا منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه وبين الجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالما وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادي به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشا تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمره المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر انجز ما وعد من هلاك الكافرين وانجا المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا او بعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعا السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البنا للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذا الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد ندائه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا الندا قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدراع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك بقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته العمل للمبالغة كقول الخنسا تصف ناقة * ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار * ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفا ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل عملا غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب وانما سمى نداه سؤالا لتضمن

ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثنا من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفا بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح وشعيب عليهم السلام ۝ والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانبا او هو الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانه لا ينجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا

اليه اطلبوا مغفرة الله تعالي بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري
عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم
مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الي قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة
المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر
واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام علي الايمان والتوبة
كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين علي اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل علي
صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما
نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير
في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط من الاجابة والتصديق ان نقول الا
اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا
لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجابة عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد
الله تعالي علي براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتبيينا له وامرهم
بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا علي الكيد في اهلاكه من غير انتظار
حتي اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم قد عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته صلي الله عليه وسلم فان مواجهة الواحد الجم الغفير من
الجبابرة الفتاك العطاش الي اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله تعالي
وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت علي
الله ربي وربكم تقرير له والمعني انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فاني متوكل
علي الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
علي ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي
الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها علي ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل
لذلك ان ربي علي صراط مستقيم اي انه علي الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله

يهلككم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف علي الجواب بالفاء ويؤيده
القراءة بالجزم علي الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي علي كل شيء
حفيظ رقيب فلا تخفي عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير
لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع
اعضاءهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما
عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الي قبورهم وآثارهم جحدوا
بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصي رسولا فكانما
عصي الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغي والمعني عصوا من دعاهم الي
الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الي الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في
العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار
الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة علي انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا
علي الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية
عاد ارم والايماء الي ان استحقاقهم للبعد بما جري بينهم وبين هود والي ثمود اخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم
منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم
فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم علي عمارتها وامركم بها وقيل
من العمري بمعني اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا
اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا لما نري فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور وان توفقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك
اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا علي حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما

تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه
اوذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فما تزيدونني غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله
به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا
قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم
حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترعى نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم
لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم
عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ذلك
وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد
قال له اني بك فان وفا به صدقه والا كذبه او وعد غير مكذب على انه مصدر كالمجلود
والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي
يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم
يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا
وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل
شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
نونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر
وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل
بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك
سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام
او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في
الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل
حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا المجيء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او
محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا

بزدا باستتباعكم اياي صح

اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم
نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر
واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه
ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة
فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت
تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني علمت ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل
فضحكت فحاضت قال

• وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة • ولم يعد حقا ثديها ان تحلبا •

ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن
وراء اسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام
تقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق
او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته
الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى عليه السلام ويحتمل وقوعهما في
الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد
المبشر به منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا
واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل االد وانا عجوز
ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا
ابن مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا
لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل
فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الايات واهل البيت نصب على المدح
او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد

فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم
الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع
يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها
لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع
في جدالنا او متعلق به مقام مقامه مثل اخذ واقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على
الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو
رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم
وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة
غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه
اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب
الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قال يا
قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار
فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه
او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة
اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك

من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم
قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة
او آويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا
فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر
باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير بالوصل حيث وقع في القران من السري
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى
ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر
باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما
يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب
ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين
على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة
والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل
ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب
لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده
الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه
المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة
من طين واصله سنكيل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى

مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذب
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
والصق به مسومة معلمة للعذاب ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض
او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم
حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل
جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير
البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر
ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير
بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره
والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي
صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء
بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة
ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا
الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا
قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع
الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعل الخضر عليه السلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم
من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين
بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم

عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا
يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا
به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله
لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي
وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف
لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما
اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان
نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع
الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به
وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه
موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم
ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني
منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف
تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير
المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد
مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان
آتي ما انهاكم عنه لاستبد به ولو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا
عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته
عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد
الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو
وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا
النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره
احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق
الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه
وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي

وما توفيقي

إلا بالله وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته عليه
توكلت فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته
بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي
هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب إشارة إلى معرفة المعاد وهو
أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق
لإصابة الحق فيما يأتي به ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره
والإقبال عليه بشراشره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم
المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم
لا يكسبنكم شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من
الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي
جرم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
وهو منقول من المتعدي إلى مفعول والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا
على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ۝ حمامة في غصون ذات أوقال ۝

وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم
فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم
وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى
في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ۝
واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه مما أنتم عليه إن ربي رحيم عظيم
الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا
يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة
البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل
قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم
عنه وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا
أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة
والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف
من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة لرجمناك

لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك
عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي
إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم
عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة
برسوله فلا تتقون على الله وتتقون علي لرهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد
والتكذيب والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب إن ربي بما
تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم
إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام
والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما عليه سبب
لذلك وحذفها ههنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في
التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقوله ستعلم
الكاذب والصادق بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم
والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا
وانتظروا ما أقول لكم إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب
كالعشير أو المرتقب كالرفيع ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة
منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له
بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعيد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله
إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة
قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين وأصل الجثوم اللزوم
في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة
مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرات أو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أي
ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا
إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة والدليل

القاطع والسلطان لخص القاطع والمبين لخص ما فيه جلاء الى فرعون وملايه
فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى وفيما اتبعوا موسى الهادي
الى الحق المويد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك
في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل
لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد
وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان
يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار
ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها
موردا ثم قال وبيس الورد المورود اي بيس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد
الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون
برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد
بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم
القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بيس الرفد المرفود بيس العون المعان
او العطا المعطا واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف
اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها قايم من تلك القرى قايم كالزرع القايم
وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال
من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع الهتهم التي يدعون من دون الله من شي لما
جا امر ربك حين جاهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك
او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرى اخذ ربك بالفعل فيكون
محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرى اذ لان المعنى
على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت
مقامه اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم
ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير
مرجو الخلاص وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم
الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة
يعتبر به عظمته لعلمه بان ما حاق بهم نموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او

او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشا فان
من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب
فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين ذلك اشارة الى يوم القيامة
وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه
فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة
والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه
باجرا الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير
شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه
فان ساير الايام كذلك وما نوخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتها مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها
فانه غير معدود يوم ياتي اي الجزا او اليوم كقوله ان ياتيهم الساعة على ان يوم بمعنى
حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة ياتي بحذف اليا اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع
وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتها
المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون في موقف
اخر او الماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة فمنهم شقي
وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق
رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم
وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض
ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطا
دوامها بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على
سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامه دوامهما الا من قبل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد
عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سماوات الاخرة وارضها ويدل

عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا
بد لهم من مظل او مقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده
ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له
التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين
يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض فهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم
فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتدا كما ينتقض باعتبار الانتهاء ٥
وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن
قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية
عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع ٥
وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون
بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه
او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي
ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم
مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقوله على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي
لا اخر لها على مدة بقا السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع
وتنبيه على ان المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب
والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده
الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا
تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء
المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما
يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم

سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب
يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم
مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من
ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل
ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب
موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين
بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا
للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية
للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ به انه بما
يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل
مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام
بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهو في غاية
العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب
من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على
وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير
كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى
من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين الموسومين بالظلم
بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور

في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
علي الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الي احد طرفي افراط وتفريط فانه
ظلم علي نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقري تِركنوا بكسر التا علي لغة تميم وتُركنوا بالبنا
للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله من اوليآء** من انصار يمنعون العذاب عنكم
والواو للحال **ثم لا تنصرون** اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي
عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفا بمعني الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره
لا يقدر علي نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلاة طرفي النهار**
غدوة وعشية وانتصابه علي الظرف لانه مضاف اليه **وزلفا من الليل**
وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة
الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلاة العشية العصر
وقيل الظهر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشا وقري زُلُفا
بضمتين وضمة وسكون كبُسُر وبُسْر وزلفي بمعني زلفة كقربي وقربة **ان الحسنات
يذهبن السيئات** يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الي الصلاة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال
اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت **ذلك** اشارة الي قوله فاستقم وما
بعده وقيل الي القران **ذكري للذاكرين** عظة للمتعظين **واصبر** علي الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان علي المقصود
ودليلا علي ان الصبر والصلاة احسان وايما بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص **فلولا
كان** فهلا كان **من القرون من قبلكم اولو بقية** من الراي والعقل او اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية اي ذوي ابقا علي انفسهم وصيانة لها
من العذاب ويويده انه قري بُقْيَة وهي المرة من مصدر بقيه بقية اذا راقبه **ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم** لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم
كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثنا من النفي اللازم للتحضيض **واتبع
الذين ظلموا ما اترفوا فيه** ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما ورا ذلك **وكانوا مجرمين** كافرين كانه اراد ان يبين
ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوي
وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف علي مضمر دل عليه الكلام

اذ المعني فلم ينهوا عن المنكرات مع الكفر وقوله وكانوا مجرمين عطف علي اتبع او اعتراض
وقري اتْبع اي واتبعوا جزآء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور
ويعضده تقدم الانجا **وما كان ربك ليهلك القري بظلم** بشرك **واهلها مصلحون**
فيما بينهم لا يضمون الي شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في
حقوقه ومن ذلك قدم الفقها عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقي مع
الكفر ولا يبقي مع الظلم **ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة** مسلمين كلهم وهو
دليل ظاهر علي ان الامر غير الارادة وانه تعالي لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده
يجب وقوعه **ولا يزالون مختلفين** بعضهم علي الحق وبعضهم علي الباطل لا تكاد تجد
اثنين يتفقان مطلقا **الا من رحم ربك** الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
علي ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه **ولذلك خلقهم** ان كان الضمير للناس فالاشارة
الي الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والي الرحمة وان كان لمن فالي الرحم **وتمت كلمة
ربك** وعيده او قوله للملايكة **لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** اي من عصاتهما
اجمعين لا من احدهما **وكلا نقص عليك من انبآء الرسل** نخبرك به **ما نثبت به
فوادك** بيان لكلا او بدل منه وفايدته التنبيه علي المقصود من الاقتصاص وهو
زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه علي ادا الرسالة واحتمال اذي الكفار او مفعول
وكلا منصوب علي المصدر بمعني كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت
به فوادك من انبا الرسل **وجاءك في هذه** السورة او الانبا المقتصة عليك **الحق**
ما هو حق **وموعظة وذكري للمومنين** اشارة الي سائر فوايده العامة **وقل
للذين لا يومنون اعملوا علي مكانتكم** علي حالكم **انا عاملون** علي حالنا **وانتظروا**
بنا الدواير **انا منتظرون** ان ينزل بكم نحو ما نزل علي امثالكم **ولله غيب السموات
والارض** خاصة لا تخفي عليه خافية مما فيهما **واليه يرجع الامر كله** فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة
علي التوكل تنبيه علي انه انما ينفع العابد **وما ربك بغافل عما يعملون** انت وهم
فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحا ومن كذب به وهود وصالح
وشعيب ولوط وابراهيم وموسي وكان يوم القيامة من السعدا ان شا الله تعالي

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدي عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد
بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها
او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا
لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم
الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما
توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة
لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه او تحيطوا
بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم
القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص
لانه اقتص على احسن الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم
والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره
اذا اتبعه بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل
هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن ان
جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او
الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن ابراهيم يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها
هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ
بالضم اجراءها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار العوض وانما لم تسكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر
كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره
بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم فقال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما
اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او
لصغر السن لانه كان ابن اثني عشرة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله تعالى
يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية
غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي
انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما
تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير
البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد
بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا فلا
يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة
والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك
كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان
كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم
جمع للحديث كاباطيل اسم للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة
الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على
نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من
قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك

ان ربك عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلايل قدرة الله
وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته
علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه
من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له
بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون
دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب
الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر
وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن
عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا
لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب
اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوه وقيل
قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها واخلائها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب
باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما
صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر
تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال
قائل منهم يعني يهودا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا
يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي به لغيبوبته
عن عين الناظر وقرا نافع في غيابات الجب على الجمع كانه لتلك الجب غيابات
وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين
يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين
ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له

لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رايه في حفظه منهم
لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ
ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التا ارسله معنا غدا الى الصحرا نرتع
نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال
وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرا
الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا وانا له لحافظون ان يناله مكروه
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف
ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف
وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وعاصم وابن عامر
درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا
لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن
للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها
والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من
مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم
لما برزوا به الى الصحرا اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث
فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا
علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي
فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا
اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه
السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه
جبريل والبسه يوسف لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم
لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى
والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم

له منكرون لبشكره عما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء يبكون آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب اي مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشراي هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقوله كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة يا بشريّ بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة

نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا باعوه فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اي اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما هم به لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر رضي الله عنه حين استخلف عمر رضي الله عنه وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء

او على امر يوسف اراد به اخوته يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه
وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه
حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل
الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء
على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب
شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة
على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ
ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط
وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام
من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن
مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف
على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة
فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام
وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر
الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم
كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته
لخالطها لشدة المبالغة وشبق الغلمة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها
في حكم اداة الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف وهم بها يدل
عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير
وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل
ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد
والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ

ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا
دينهم لله تعالى واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن
الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها
فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما
منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب
الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل
ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا
ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وانما القى الله
الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه
بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها
تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان
فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين
ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي
فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك
باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل
وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما
راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء
الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء
لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من

خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها في المدينة ظرف لقال اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة
العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد
شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه
على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن
الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن
اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرا فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة
فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا
خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة
في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل •
• فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله •
وقيل المتكأ اترج وكان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة
ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء
اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكئ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه
على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل
الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي بيت •
• خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق •
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله

تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما
قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه
في باب الاستثنا فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا
لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة من الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله
منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال
وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا
ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا
الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي
لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن
يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته وان لم يفعل ما آمره اي ما آمر
به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر
صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف
خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك
في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة
وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية
ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا
تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه
عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن او الى انفسهن
بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفس
تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من
الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح

او من الذين لا يعلمون بما يعلمون فانهم والجهال سوا فاستجاب له ربه فاجاب
الله دعاه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته
بالعصمة حتى وطن نفسه لمشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
انه هو السميع لدعا الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا
لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد
الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النسا ايديهن ٥
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك
لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب
الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتا على ان بعضهم خاطب
به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتي بلغة هذيل ودخل معه
السجن فتيان اي دخل يوسف السجن واتفق ان دخل حينئذ آخران من عبيد الملك
شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي
اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه
خمرا بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن
يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه
ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل
ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه
تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم
قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبيا والنازلين منازلهم من
العلما في الهداية والارشاد وقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما
على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما
علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا
يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك
ربي لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في
الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف
فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان

التاسع والعشرون

لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد
من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم
وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا
الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن
يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافه
اليه على الاتساع كقوله * يا سارق الليلة اهل الدار * ءارباب متفرقون شتى
متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد بالالوهية القهار الغالب الذي
لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسما سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
الا اشيا باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم
لا تعبدون الا الاسما المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية
عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم
في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد
للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه
الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة
والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن
على ان ما يسمونه الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين
المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضيه العلم دونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي
ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز ٥
فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة امرهما ما نزل بهما وقال
للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي
فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه
المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان

بغيره وتوطيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبيا فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملا افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشيا مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجا وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده

او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهي على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتا على تغليب المستفتي وقرئ على بنا المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتها الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاه الرسول بالتعبير فلما جاه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواضعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بري مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب به صاحبه اذ راودتن يوسف

عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال

فحصحص في صم الصفا ثفناته ... وناء بسلمى نوءة ثم صمما

او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك
ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم
العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه
وانا غائب عنه او غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين
بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق
وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك
ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها
وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي
او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة
ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد
والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء
روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها
فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له

منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض
مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه
السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه
دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم
انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك
اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا واجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل
واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط
مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم
يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم
اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول
العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
فلما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد
من الامتعة المنقلة العدد للسفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها
وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من
الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا اثنا عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال
فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة واتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان
يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم
ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به

فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او
معطوف على الجزا قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون
ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه
وكل بكل رجل واحدا يعبي بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق
ردها او لكي يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع
منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا
نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناد
الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله
مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف
وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم
الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز
وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ
خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي
ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا
ولا نطلب وراء ذلك احسانا ولا نبغي القول ولا نزيد فيما حكينا من احسانه وقرئ
ما تبغي على الخطاب اي اي شي تطلب بعد هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه
بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف
اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف
في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما
استفهامية اما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي
اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل اي لا
يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه
ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شي قليل لا يضايقنا فيه
الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شي يسير لا يخاطر

بمثله الولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله
حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك
او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثنا مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله لا فعلت الا ما اطلب لا افعلك فلما اتوه
موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي
جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللتفس اثار منها العين والذي يدل
عليه قوله عليه السلام في دعوته اللهم اني اعوذ بكلماتك التامة من شر كل دابة وهامة
ومن شر كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شي مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم
فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء ولا
ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف
الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفا لافادة التسبب فان
فعل الانبيا سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب
متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شي مما قضاه
عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثنا منقطع اي ولكن حاجة
في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازة من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها
وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله
من شي ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه
لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني
انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت

صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وقيل كانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله
بامر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم
لسارقون يوسف من ابيه او ائنكم لسارقون والعير القافلة وهي اسم
الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها لقوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به
لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع
وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به
حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك من فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم
وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء
السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء
البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام
له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة
كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في
رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن
وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة
ثم استخرجها السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه كذلك مثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه
في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع

درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة
منه واحتج به على من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو
اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو
الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا
وفوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم
وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت
المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه
في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله
قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر
مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنع مما كنتم عليه
وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير
الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله
استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه يوسف
الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من
المعودين للاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده فان اخذه غير ظلم على فتواكم فلم آخذ احدكم مكانه انا اذا
لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع
في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا
منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه
وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه

وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا
ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف
او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة
لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه
في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم **فلن ابرح الارض** فلن افارق ارض مصر **حتى
يأذن لي ابي** في الرجوع **او يحكم الله لي** او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي
منهم او بالمقاتلة معهم روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها
الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد لبزرا من بزر يعقوب **وهو خير الحاكمين** لان حكمه لا يكون الا بالحق
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر
الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه **الا بما علمنا**
بان رأينا ان الصاع استخرج من وعائه **وما كنا للغيب** لباطن الحال
حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او وما كنا
للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك المواثيق انه سيسرق او انك تصاب
به كما اصبت بيوسف **واسأل القرية التي كنا فيها** يعني مصر
او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم القصة
والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم **وانا
لصادقون** تأكيد في محل القسم **قال بل سولت** اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا
له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت **لكم انفسكم امرا**
اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته **فصبر
جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل **عسى الله ان يأتيني بهم
جميعا** بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر **انه هو العليم** بحالي
وحالهم **الحكيم** في تدبيرها **وتولى عنهم** واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد
الحزن والحسرة والالف بدل من يا المتكلم وانما تأسف على يوسف دون
اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا
بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط من الامم

انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى
يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى **وابيضت عيناه من
الحزن** لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره
وقيل عمي وقرئ من الحَزَن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل
امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون **فهو كظيم** مملوء
من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو
مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم
الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه **قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف** اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله
فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه
علامة الاثبات كان على النفي **حتى تكون حرضا** مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا
يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب **او تكون من
الهالكين** من الميتين **قال انما اشكو بثي وحزني** همي الذي لا اقدر الصبر
عليه من البث بمعنى النشر **الى الله** لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي
واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه **ما لا
تعلمون** او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت
حتى يخر له اخوته سجدا **يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه**
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس **ولا تيأسوا
من روح الله** لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من رُوح الله اي من رحمته
التي يحيي بها العباد **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**
بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال **فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز** بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية **مسنا
واهلنا الضر** شدة الجوع **وجئنا ببضاعة مزجاة** رديئة او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط

وسويق المقل فأوف لنا الكيل فأتم لنا الكيل وتصدق علينا برد أخينا
أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في أن حرمة
التصدق تعم الأنبياء أو تختص بنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام إن الله
يجزي المتصدقين أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا
بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أي هل علمتم
قبحه فتبتم عنه وفعلتم بأخيه إفراده عن يوسف وإذلاله حتى كان لا يستطيع
أن يكلمكم إلا بعجز وذلة إذ أنتم جاهلون قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته
وإنما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم
وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين
وذكروا له ما هو فيه على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وإنما جهلهم لأن فعلهم
ذا فعل الجهال أو لأنهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا أإنك لأنت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بإن واللام عليه وقرأ ابن كثير على الإيجاب قيل
عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع
التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه
وإدخالا له في قوله قد من الله علينا أي بالسلامة والكرامة إنه من يتق ويصبر
أي من يتق الله ويصبر على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضيع
أجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى
والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال
السيرة وإن كنا لخاطئين والحال أن شأننا أنا كنا مذنبين بما فعلنا معك
قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش
للإزالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم
متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذي
هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله يغفر الله لكم لأنه صفح عن جرمهم
حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو أرحم الراحمين فإنه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا إنك قد
دعوتنا بالبكرة والعشي للطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال إن أهل
مصر كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما

ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في
التعويذ فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا أي يرجع بصيرا أي يصير بصيرا وأتوني أنتم
وأبي بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر
وخرجت من عمرانها قال أبوهم لمن حضره إني لأجد ريح يوسف أوجده الله
ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به إليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا أن
تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني
أو لقلت إنه قريب قالوا أي الحاضرون تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه فلما أن
جاء البشير يهوذا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه
بحمل هذا إليه ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه
فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله
ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول
لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا
إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف
أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة
الجمعة تحريا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن
عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام
يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله أجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم
وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه
إليه رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان
أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى
عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
آوى إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلهما منزلة الأم تنزيل العم
منزلة الأب في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأن يعقوب تزوجها
بعد أمه والرابة تدعى أما وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من القحط وأصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج

البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان
السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير
لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه
لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي
حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا
نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب
الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير
الحكيم الذي يفعل كل شئ في وقت على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه
عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه
القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تساله قال
انت ابسط مني اليه فساله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله
الذيب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل
التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى
براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة الذي يتولاني بالنعمة فيهما
توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام
الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم
تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه
في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن
ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع
بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه
للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب
لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على

مكذبيك

على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق
استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه على الانباء
او القران من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله
للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات
والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره
يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ
والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن
اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او
النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين
وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة
الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل
هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في
ادعو او على بصيرة حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه
وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في
كل القران ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها
اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او
الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب

بالتاحملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم
امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر
مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير
للمرسل اليهم اي ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل فظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا
فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا
انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على
طريق الوسوسة وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل
وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبنا الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي
والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشا نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني
للمفعول وقرئ فنجي ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه
بيان المستثنى لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا واممهم او في قصة
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف
والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط وغير وسط وهدى من الضلال
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما
ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي ثلاث واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب والذي انزل
اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على

الخاص

الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتدا وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من
المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة
لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية
واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد ان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح
بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم
استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في امر حدث الكائنات وبقائها
كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع
دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته
من الايجاد والتدبير الاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك يفصل الايات
ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه
الاشيا وتدبيرها قدر على الاعادة والجزا وهو الذي مد الارض بسطها
طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية والتا للتانيث على انها صفة اجبل
او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود
والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون
وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع
متجاورات بعضها طيبة وبعضها بالعكس سبخة رخوة وبعضها صلبة
وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله

علي وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متفقة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وكبساتين
فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا علي وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقي بماء واحد ونفضل بعضها علي
بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل علي
الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص
قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقي بالتذكير علي تاويل ما ذكر وحمزة
والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم
حقيق بان يتعجب منه فان من قدر علي انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر
شي عليه والايات المعدودة كما هي دالة علي وجود المبدا فهي دالة علي امكان الاعادة
من حيث انها دالة علي كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا
ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل
عليه اينا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته علي
البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجي خلاصهم
او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون
عنها وتوسيط الفصل لتخليص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب
الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما
لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة
والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقري المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع
الفا العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم علي انها جمع
مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم مع ظلمهم
انفسهم ومحله النصب علي الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز
العفو قبل التوبة فان التائب ليس علي ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة

لمجتنب

لمجتنب الكبائر واول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن يشاء وعن النبي صلي الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا
لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسي
وعيسي عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك
الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد
نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الي الحق ويدعوهم الي
الصواب او قادر علي هدايتهم وهو الله تعالي لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك ما يدل علي كمال قدرته وعلمه وشمول قضائه
وقدره تنبيها علي انه تعالي قادر علي انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم
للعناد دون الاسترشاد وانه قادر علي هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم
بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثي اي حملها او ما تحمله انه علي اي حال هو من
الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد واقصي مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة وروي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلي
عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي ره
اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان الدم
الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالي وازدادوا تسعا
فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الي الارحام علي المجاز
فانهما لله او لما فيها وكل شي عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شي
خلقناه بقدر فانه تعالي خص كل شي حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا
مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له
الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شي المتعال المستعلي علي كل شي بقدرته
او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالي عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن
جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا بالليل وسارب بالنهار
بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف علي من او مستخف علي ان من في
معني الاثنين كقوله ٭ نكن مثل من يا ذيب يصطحبان ٭ كانه قال سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن
اسر او جهر واستخفي او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من

عقب مبالغة عقبه اذا جا علي عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة علي تعويض الياء من احدي القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متي اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعني الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالي ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتي يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل علي ان خلاف مراد الله تعالي محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما علي العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين علي اضمار ذوا او اطلاق المصدر بمعني المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معني الجمع ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه علي وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة علي فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلي الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله ع واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشديد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة علي الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله علي اربد صاعقة فقتلته ورمي عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا

تكلف

تكلف باستعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعني القحط وقيل فعال من المحل بمعني القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل علي غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم علي انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعني الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعي الي عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق علي الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او علي تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالي وكل داع اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالي واجابة لدعوة رسوله صلي الله عليه وسلم او دلالة علي انه علي الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة علي مجادلة رسول الله صلي الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يقدر علي اجابته ولا يشعر بدعائه ولا الاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوي دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود علي الحقيقة فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض او يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاءوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الاظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقني وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضي العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انتفاع الغير ودفع الضر عنه وهو

دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي
الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك
وقيل الغافل عنكم والمطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة
للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم
خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم
فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجبا للعبادة ولازم استحقاقها
ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي
منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع
فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل
السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في
النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية او متاع اي طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او
التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به
كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع
المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى
العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك
بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم
يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان

الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة
والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به وعلى الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء
الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء وماواهم
مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب
والهمزة لانكار ان يكون يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر
اولوا الالباب ذووا العقول المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين
يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما
عهد الله اليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع
حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال
وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة
الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن
الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول
معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما
لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم
والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم
بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او محذوف اي هذا بما صبرتم لا ه

قال البيضاوي ... فتح ... فاستشكاله ... في سبيل الله ...

لا بسلام فان الخبر فاصل والبا للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ
فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفا وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في
الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب
جهنم وسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط
لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا متاع الا متعة لا
تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم
يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل
النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان
الله يضل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل
الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم
ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشا ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الايات الذين
امنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلايله الدالة
على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب قلبت واوه يا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى
وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن ماب بالنصب كذلك
مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم
تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم
يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط
المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم
للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي

من يشا

ومرجعكم

ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه
تعظيم شان القران او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند
قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأوه او فتسمع وتجيب
عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار
او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد
ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره
من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب
مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما
تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين
امنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما
استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المايوس عنه لا يكون ولذلك علقه
بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق
المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم
علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا
يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام
كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون
تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى ياتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم
على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت

عليه شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف
وعطف على الخبر المقدر للمبتدا اي افمن هذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ولم يوحدوه
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة
وقوله قل سموهم تنبيها على ان هولاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه بل
اتنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض شركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات
لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج
بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل
الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن
الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه
للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من
من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو
مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري
من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل
الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد
المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما
ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط
للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين
من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما
يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو
ما يخالف شرائعهم لا ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة
في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة

الشرائع

والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه
ادعوا لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين
الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكار المخالفة
فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه
حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ
ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم
وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح
له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله
فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل امد ووقت حكم يكتب على العباد على ما
يقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده
في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب
اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم
يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين
منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام
بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب
على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة
بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم
وبالمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود
منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار

من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين
كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره **ويقول الذين كفروا لست**
مرسلا قيل المراد رؤسا اليهود **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** فانه اظهر
من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها **ومن عنده علم الكتاب**
علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم
اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو
شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على
الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو
متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب بالكسر والبنا للمفعول ورفع الكتاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب هو كتاب **انزلناه اليك لتخرج الناس** بدعائك اياهم الى ما تضمنه
من الظلمات من انواع الضلال **الى النور** الى الهدى **باذن ربهم** بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه
جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص
الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله **الله الذي له ما في السموات**
وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته
وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق **وويل**
للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوائل وهو النجاة فاصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق
منه لكنه رفع لافادة الثبات **الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة** يختارونها
عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره **ويصدون**
عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول

من صد صدودا

من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار
واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب
على الذم والرفع على انه مبتدأ خبره **اولئك في ضلال بعيد** اي ضلوا عن الحق
ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر
الذي به الضلال فوصف به لملابسته **وما ارسلنا من رسول الا بلسان**
قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم **ليبين لهم** ما امروا به
فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه
بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار
عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك
بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ
ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وفي اتعاب القرائح وكد النفس من
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين
وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وانه
تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك
يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين
للعرب **فيضل الله من يشاء** فيخذله عن الايمان **ويهدي من يشاء** بالتوفيق
له **وهو العزيز** فلا يغلب على مشيئته **الحكيم** الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته **ان اخرج**
قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول
او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان
الناصبة **وذكرهم بايام الله** بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب
حروبها وقيل بنعمائه وبلائه **ان في ذلك لايات لكل صبار شكور** يصبر على بلائه
ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر
وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك
تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن **واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة**
الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان
ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية
دون الانعام ويجوز ان تكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال **يسومونكم سوء**

العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف او مفعول تاذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا او استهزاء كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك

ادخلت

ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انا ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكافرين دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى اي وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأه ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول

ولمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم أي إلى رسلهم لنهلكن الظالمين
على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم
أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن
ذلك إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي
لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار
واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعاديهم من الفتاحة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ
الأمر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل
جبار عات متمرد متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من
الكفرة أو من القبيلين كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه مترصد بها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى
عنك ويسقى عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد
عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة
لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل
يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه
الموت من كل مكان أي أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجوانب وقيل من
كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل
هو الخلود في النار وقيل حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في
أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاهم فلم يسقهم ووعدهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار مثل
الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة
أو قوله أعمالهم كرماد وهي على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم
بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته وأسرعت الذهاب به وقرئ الرياح
في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم
وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب

ونحو ذلك

ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة الله والتوجه بها إليه
وأعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا
من أعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك إشارة
إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون هو الضلال البعيد فإنه الغاية في البعد
عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين
أن الله خلق السماوات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق أن يخلق عليه
حمزة والكسائي خالق السماوات إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم
ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسماوات والأرض استدلالا به
عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور
وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على
الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء
وبرزوا لله جميعا أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم
فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله فإذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الأتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وإنما كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة
فيميلها إلى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
إنا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
أو مصدر نعت به للمبالغة أو على إضمار مضاف فهل أنتم مغنون عنا دافعون عنا
من عذاب الله من شيء من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض أي بعض شيء
هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل أن تكون الأولى مفعولا والثانية مصدرا
أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء قالوا أي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة
الأتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للإيمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناه لكم ولكن سد دوننا طريق الخلاص
سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص
منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون
مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز أن يكون قوله سواء علينا كلام الفريقين

ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا وقال الشيطان
لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
في الاشقيا من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزا ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا
حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصي
الا ان دعوتكم الا دعاي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس التسويل السلطان
ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بمثل ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب
الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي
بمغيثي وقرا حمزة بكسر اليا على الاصل في التقا الساكنين وهو اصل مرفوض في
مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة يا الاضافة الفتح فاذا لم
تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها يا او على لغة من يزيد يا على يا الاضافة
اجراها مجرى الها والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف اليا اكتفا بالكسرة اني
كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي
كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرات منه
واستنكرته كقوله يوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما
في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله
بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين
رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية
امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقري ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي يحييهم

الملائكة

اي الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه
كلمة طيبة كشجرة طيبة اي كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة
وان يكون اول مفعولي ضرب اجراها مجرى جعل وقد قريت بالرفع على الابتدا اصلها
ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد
وفروعها اي افنانها على الاكتفا بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقري
ثابت اصلها في السما والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ توتي
اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام
وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل
شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان
عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت
الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله تعالى والدعا الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعي الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت
الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة
والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزالون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود
وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سيلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال
القيامة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي
فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير
اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين
لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته

قال ابن عباس رضي الله عنه من دام على الشهادة في الحياة الدنيا ثبته الله عليها في القبر [illegible]

[illegible]

ووسع عليهم ابواب رزقه وشرّفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك
فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتّعوا الى حين
واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر
جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وورش عن يعقوب بفتح اليا وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد
ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها
من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد
عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كاينان لامحالة ولذلك
علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به
من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها
على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل
لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما
رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم
عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول
بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله شعر

محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ
الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق
سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
والاحب اعلان الواجب واخفا المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع
لك خليل ومن قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام
الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج

به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر
فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشيا تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل
والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع
ما سألتموه يعني من كل شي سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله
ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم
يسال وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى
المفعول وقرئ بالتنوين اي وآتاكم من كل شي ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال
ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي واتاكم من كل شي غير سائليه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تستطيعوا عد انواعها فضلا من افرادها
فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه
وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما
كانت لهم حجارة يدورون لها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك
العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في
امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتدا او بعد
التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد
فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي

حذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد معه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم
الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا تهابه الجبابرة او منع
منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول
ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة
فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم
راوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا
اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي
وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا
لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصودة بالذات
من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة
الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك
القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ افدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادور
وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح
الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي
اليهم تسرع اليهم شوقا ووددا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره
وتهوي من هوى يهوي اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا
والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا
ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل كرامتك وقيل ما نخفي
من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في
التضرع واللجاء الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم
بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اي وهب وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا

لما فيه من الآية اسمعيل واسحاق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحاق
لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد
به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد
السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب
له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه
باعلام الله واستقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل
دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد
تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله
فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما كان عليه
من انه تعالى مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم
على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله
وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي
عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من
هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين على البلاء بابصارهم لا يطرفون
هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه
يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال ـــــ زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم
وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل
قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا
وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب
للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى انكم اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم

اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا
انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا**
انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد
يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقوله سكنت الدار **وتبين لكم كيف فعلنا بهم**
بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم **وضربنا لكم**
الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا او فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة **وقد مكروا مكرهم**
المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل **وعند الله مكرهم** ومكتوب عنده
فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له **وان كان**
مكرهم في العظم والشدة **لتزول منه الجبال** مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك وقيل
ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي
ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا
وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقراء الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة
واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام
كي وقرئ وان كاد مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** مثل قوله انا
لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول
الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع **ذو انتقام**
لاوليائه من اعدائه **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم او ظرف
للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان
لا يعمل فيما بعده **والسموات** عطف على الارض تقديره والسموات غير السموات
والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا
غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه
قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض فتبسط وتمد مد الاديم
العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل

بالتبديل

بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار
لفي سجين **وبرزوا** من اجداثهم **لله الواحد القهار** لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد
والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم **في الاصفاد**
متعلق بمقرنين او حال من ضميرهم والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ۞ يعض بساعد وبعظم ساق ۞

واصله الشد **سرابيلهم** قمصانهم **من قطران** وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل
فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم
لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيآت الوحشية فيجلب اليها انواعا من الهموم والغموم والآلام
وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والان المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين **وتغشى وجوههم النار** اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع
على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم **ليجزي الله**
كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة **ما كسبت** او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه
اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا **ان الله سريع الحساب** لانه لا يشغله حساب عن حساب
هذا اشارة الى القران او الى السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله **بلاغ للناس** كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به** عطف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق ۞
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد

له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ۞ ربما تكره من الامر ۞ له فرجة كحل العقال ۞ ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم احوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى

مانادوه

ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لو ما تاتينا ركب مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالنون مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان ياتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا يلزم كونها مفسرة للمعنى الاول بل تقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم

مستوحشين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم
في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر
ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات
وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل
خيل ما خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السما بروجا اثني عشر مختلفة
الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السما وزيناها
بالاشكال والهيات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها
وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع
بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة
من قطانها اي سكان السموات ما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا
يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثنا
منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر
للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق للكوكب والسنان لما فيهما
من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا
فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين ه
تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم موزون او ما يوزن ويقدر او
له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من
المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر
من يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية
الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع
محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا
تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد
بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء
الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف

ما وجد

ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه اقتداره بالاشيا المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر
معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض
الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشا سحاب ماطر بالحامل كما
شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى
المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل
الجنس وانزلنا من السما ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له
بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في
الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهوا
في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الما تقتضي
الغور فوقوفه دون حد لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض
الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات
وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم
ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في
الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان
امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا
ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان في الحشر ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل
الاشيا يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم
وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت
اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود من طول
مجاورة الما وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه
او مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب
كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير

ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او مصور من سنة الحجر على الحجر اذا حككته فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيات لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السما او الجنة او زمر الملايكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في

قوله

قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به فيصير كالزايل قال رب فانظرني فاخرني والفا متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبار فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لا تدل على منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه والاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثنا

منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه
الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين
تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون منها
لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار
مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها
للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزو
على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل
مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل
فيما تقدم موصوفه ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في
جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير آسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث
وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء
على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الافة والزوال
ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم
من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في
جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى
الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر
لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال من الضمير في متقابلين وما
هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر
المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف
ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم

عن ضيف ابراهيم على ونبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا تواجل من اوجله ولا تواجل
من واجله يعني اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر
لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها باسحاق عليم
اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر
اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة
هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى
قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب
ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ
بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم
لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا
والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه
في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم
مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال
شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل
لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما
يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن
اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم
وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هاهنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق

من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا
لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسناده اياه الى
انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي
لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال ـــــــ
افتحي الباب وانظري في النجوم ۝ كم علينا من قطع ليل بهيم ۝
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا
ينصرف احد منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو
الشام او مصر فعدي وامضوا حيث تؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ۝
وقضينا اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر
هؤلاء ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم وقرئ بالكسر على
الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون
فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع
بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم بقدر وسعه او عن
ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك
قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك
والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه
كثير الدور في السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم

وتمييزهم

وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف
يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة
هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا
عاليها عالي المدينة او عالي قومهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه
القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى ۝
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله
ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر الملتف
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه
كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا
ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط
غفلتهم او حسبانا منهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده
امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو
الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو
الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة

فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع **من المثاني** بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض **والقرآن العظيم** ان اريد بالسبع الايات والسور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب **الى ما متعنا به ازواجا منهم** اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به **واخفض جناحك للمؤمنين** وتواضع لهم وارفق بهم **وقل اني انا النذير المبين** انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا **كما انزلنا على المقتسمين** مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان لنبيتنّ صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون **الذين جعلوا القرآن عضين** حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن عينيك اعتراض ممد لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة

وعن عكرمة

وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره **فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون** من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع **واعرض عن المشركين** فلا تلتفت الى ما يقولون **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي **الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون** عاقبة امرهم في الدارين **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق **وكن من الساجدين** من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح

ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود
به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير
لكم فيه ولا خلاص لكم عنه **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرأ وجل عن ان يكون
له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوا
والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم
لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل الملائكة بالروح** بالوحي والقران فانه يحيي به
القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب
ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق به موعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن
يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل **من امره** بامره او من اجله **على من يشاء من عباده** ان يتخذه
رسولا **ان انذروا** بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته **انه لا اله**
الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة
والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد
الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات
القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته
من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة
والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع **خلق السموات**
والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها
وخصصها بحكمته **تعالى عما يشركون** منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه
اليهما ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام **خلق**
الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل
فاذا هو خصيم منطيق مجادل **مبين** للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي
العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** الابل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره **خلقها لكم** او بالعطف على الانسان وخلقها لكم

بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له **فيها دفء** ما يدفأ به فيقي البرد
ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها
ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم
الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في
المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه
ولكم فيها جمال زينة **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي
وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين
ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل
ملائى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على
ان تريحون وتسرحون وصف لها بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل**
اثقالكم احمالكم **الى بلد لم تكونوا بالغيه** ان لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهورکم
اليه **الا بشق الانفس** الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب
نصف قوته بالتعب **ان ربكم لرؤف رحيم** حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم **والخيل والبغال والحمير** عطف على الانعام **لتركبوها**
وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من
خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل
ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من الضميرين اي متزينين او
متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل
بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية
وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر **ويخلق**
ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
وغير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به
وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر **وعلى الله قصد**
السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال **ومنها جائر** حائد عن القصد

اوعن الله وتغييرا الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة ولان المقصود
بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم
جائر اي عن القصد **ولو شاء لهداكم اجمعين** اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء **هو الذي انزل من السماء** من السحاب
او من جانب السماء **ماء لكم منه شراب** ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب
ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به
لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض
ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت
على الارض شجر قال ــــــــــ

نعلفها اللحم اذا عز الشجر ۞ والخيل في اطعامها اللحم ضرر ۞

فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة
وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات **ينبت لكم به الزرع** وقرا ابو بكر بالنون
على التفخيم **والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات** وبعض
كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل
منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن تقديم الزرع ۞
والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها **ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون**
على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة
تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه
عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل
كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع
السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار
مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك **وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم** بان هياها لمنافعكم **مسخرات
بامره** حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف
شاء او لما خلقن بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايماء بالجواب عما عسى ان يقال
ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد
لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل مصدر ميمي
او مصدر جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر

فيكون

فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا **ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون** جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات **وما ذرا لكم
في الارض** عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من نبات وحيوان **مختلفا
الوانه** اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا **ان في ذلك لاية لقوم يذكرون**
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم **وهو الذي
سخر البحر** جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم
فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه خلقه عذبا
طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث
باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند
الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة
بركوبه **وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** كاللؤلؤ والمرجان اي يلبسها نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم **وترى الفلك** السفن
مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري
الفلك **ولتبتغوا من فضله** من سعة رزقه بركوبها للتجارة **ولعلكم
تشكرون** اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقب الشكر
لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش **والقى في الارض رواسي** جبالا رواسي **ان تميد بكم** كراهة ان تميد
بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب
للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ۞
وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه **وسبلا لعلكم تهتدون**
لمقاصدكم او الى معرفة الله **وعلامات** علامات يستدل بها السابلة من جبل
وسهل وريح ونحو ذلك **وبالنجم هم يهتدون** بالليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع
وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا

كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة علي كمال قدرته وتناهي
حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا
يقدر علي خلق شيء من ذلك بل علي ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق
كمن يخلق لكنه عكس تنبيها علي انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا
العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق
الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد
ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا ۝
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة علي تفرده باستحقاق
العبادة تنبيها علي ان ما وراء ما عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور
ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة علي كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار
العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة الذين يعبدونهم من دونه
وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى
المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه
ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها
ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الي التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود ۝
اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مالا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما
يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون
جزاؤهم علي عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب
والعقاب وفيه تنبيه علي ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم

مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم
بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدليل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا
الي المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الي
قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل
انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم علي التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون
قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه
منزلا علي التهكم او علي الفرض اي علي تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه
والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في ۝
الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة
علي ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد
التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو علي سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد
امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلي قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم
يذلهم ويعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي
اضاف الي نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم
الي التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء ۝
الذلة والعذاب علي الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته
لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام
التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها

العذاب المخلد فألقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من
سوء قايلين من كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد
به القول الدال على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى
شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء
بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا
العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف
عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب
واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احيا العرب كانوا
يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جا المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها
وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا
للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها
وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم
الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله
المتقين مثل هذا الجزا يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة الطيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هو التوفي
وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم
الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر
ربك القيامة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما
عملوا اي جزا سيات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزا باسمها وحاق بهم

ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من
دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزا ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان
ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من
الشرك وتحريم البحاير ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها
عنهم ولشا خلافه ملجا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه
على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا احله
وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا البلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر
في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به
السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه وزيادة الضلال لمن اراد
ضلاله كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه
بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان
بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم
وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال وثباته
بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد
وثمود وغيرهم لعلهم يعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي
من يضل من يرد ضلاله وهو المعني من حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين
لا يهدى على البنا للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب
عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة
في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد
لنفسه وهو ما يدل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه حقا لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث مقتضي حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال
ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم بعث الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم

الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق
المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشيا ابتدا بلا سبق مادة ومثال
امكن تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او
جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة
وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وفي لله اي
في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة
حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا
من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر
لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب
او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه
على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكر في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل
على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه
رسلا الى الملائكة او الى الانبيا وقيل لم يبعثوا الى الملائكة الا ممثلين بصورة الرجال
ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها
مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلما فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم
بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق
بما ارسلنا داخلا في الاستثنا مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسئلوا
اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن

وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله
اليك مما امروا به ونهوا عنه ومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود
او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة
ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات
وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السما كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها
فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير

تخوف الرحل منها تامكا قردا ❁ كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير
كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا
الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم
لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
يتفيؤ ظلاله اي اولم يروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي
تروا بالتا وابو عمرو يتفيؤ بالتا عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي
كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار
اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما
حالان من الضمير في ظلاله والمراد بالسجود الاستسلام سوا كان بالطبع او الاختيار
يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب منقادة لما قدر
لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها
ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو والنون
لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع

والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة
على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات والارض اي تنقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية
سواء كان في ارض او سما والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجرد على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في
الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد به ملائكة
من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلا كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع
القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلا وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون
ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله
وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان
من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير
وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وقال الله لا
تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق
النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو
اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالوهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد ۝
واياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا له وله الدين
اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل
واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شي اتصل بكم من نعمة فمن الله وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون
سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما
تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان
الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم

ويجوز

ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها
من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفا للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد
الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها الهة
بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما
يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتدا والنصب بالعطف
على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر
بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحيا من الناس
واسوداد وجهه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو من الغيظ غيظا من المرأة
يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه
محدثا في نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه
ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون
لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة
السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة
الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى
المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد
بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط
بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابنا ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او
لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل
هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا
كلهم ظالمين حتى الانبيا عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر

من كثرتهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركا
في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب
مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار معجلون من فرطته في طلب الماء مكسور من التفريط
في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن
زمانها فهو وليهم حتى يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم
يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين والناصر فيكون
نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين
فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد
موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع
تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم
مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه
في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن
لبعضها دون جميعها او لواحدة او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر
وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة
الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقي ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما
يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها ٥

لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا
انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار
بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدي منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا
بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان
الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات
النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف
المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر
ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر
والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين
ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على
المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي
لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك
وقرئ بيوتا بكسر الباء لمكان الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات
من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل
فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل
اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت منقادة لما امرت به

يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم
ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء
ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار
وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل
فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض
اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان
يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما
انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا انه لابد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم
ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة
وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال
الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير
يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال
الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو
كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم
ومنكم مماليك على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله في
ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة
للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد
وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تعالى بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون
ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حين

يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدون انه
من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين
الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء
من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا وبنات فان الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل
الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات
من اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله
هم يكفرون حيث اضافوا نعمته الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل
اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله
ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه اذ لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فيما يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى
الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا
تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه
حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في
التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم
عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف
يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك
به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع
تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات
وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد
العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب
والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة
ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون فانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار

والعبد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل
اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنايع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله
مولاه في امر وقرئ يوجه على البنا للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله ايما اوجه
الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن
يامر بالعدل وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا وهو يبلغه مع
اقرب سعي وانما قابل تلك الصفات لهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا
تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمومن
والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما
عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه
غايب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة في سرعته
وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها
اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي يبتدا فيه فانه تعالى
يحيي الخلايق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام
الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب
مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلايق دفعة كما قدر ان
احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا الكسائي
بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والها مزيدة مثلها
في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشيا فتدركونها ثم
تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم
العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية والنظر فيها لعلكم
تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قراه
ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتا على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران
بان خلقها خلقة يمكن معه الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها
في الهوى على خلاف طباعها بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السما
في الهوا المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها
ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات لقوم يومنون تسخير الطير للطيران

بان خلقها

بان خلقها خلقة يمكن معه الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في
الهوا على خلاف طباعها لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر
والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من
الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة
على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم
حملها ونقلها يوم ظعنكم يوم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم
وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الصوف للضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام
لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل
لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم
من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والغيران والسروب جمع كن وجعل لكم
سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفا
باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتومنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون
من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل
تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ
المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام
الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالكفر والايمان ثم لا يوذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل
في الرجوع الى الدنيا ثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبيا عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون

من العتبى وهي الرضا واستعتاب يوم محذوف تقديره اذكره او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق
وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس
بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب
في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه
كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم
وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرون ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا عنهم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا
لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او
الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين
البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان
الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر
على متعاطيه في ثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية لا يوجد من الانسان شر الا وهو
مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود
رضي الله عنه هي اجمع آية في القران للخير والشر وصار سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن

في القران

في القران غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر
والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله
يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل
النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب
عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت
اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكثت غزلها فتلها جمع
نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل ريطة بنت سعد القرشية
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا
تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها
متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون
امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوة قريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة
في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان
تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
وقيل الضمير للربوا وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء
بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم تصريح بالمنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل
قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر
للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء وصدكم غيركم

عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا
قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم
على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير
لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اغراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد
وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار ومشاق التكاليف باحسن ما كانوا
يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن
من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها ه
تخفيف العذاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه
ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان طيب عيشه بالقناعة والرضا
بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر
وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة
ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القرآن
اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور
على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم
المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
على اولياء الله المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر
السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة

لفظا

لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير مصلحة الآن فيثبته
مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر
متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما
ينزل وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان
يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان
انزاله مندرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان لانه كلامه وانه اذا سمعوا الناسخ وتدبروا
ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر
ابن الحضرمي وقيل يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح اليا لسان اعجمي غير بين ه ٥
وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان ٥
مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه
كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف
يكون ما يلقطه منه وثانيهما هب انه يتعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم
يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك
من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم
يعرف معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية
عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة
هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال

إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش هم الكاذبون أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد إيمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب إلا من أكره على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازا للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان والوعيد بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة بسبب أنهم آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم عن الزيغ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما أفضى بهم إلى العذاب المخلد ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا أي عذبوا كعمار بالولا

والتعذيب ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أي بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم من المشاق إن ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور رحيم يبعثهم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون أجورهم وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج أهلها خوف يأتيها رزقها أقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بأنعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال *

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر إلى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو … رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني … ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا إلى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام وتصدير الجملة

بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام مفعول لا تقولوا او الكذب
منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم
الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم
الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف
السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الكذب الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة
تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق
بقصصنا او حرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون
للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترا
على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله

ليس من الله بمستنكر ۝ ان يجمع العالم في واحد

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل
ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا
لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله تعالى وآتيناه في الدنيا
حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا

طيبة

طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله
بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما
اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد بحسب
فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام
ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق
السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد عليهم الامر وقيل معناه انما جعل
وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى
واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان
ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاخلاق او بمجازاة
كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك
انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما
فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة
العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه
الصلاة والسلام لما راى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا على قوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم
لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى
الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه
وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما
يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل

وجوزان يكون الضيق تخفيف ضيق إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا المعاصي وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم
محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه
الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال

قد قلت لما جاءني فخره … سبحان من علقمة الفاخر

وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعد
واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة
الاسرا ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بعينه
لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد ولانه محيط به
ليطابق المبدا والمنتهى لما روي انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري
به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد
واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن وسعى رجال الى ابي بكر فقال
ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
الصديق واستنعته طايفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية
فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة
واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه كان بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش
واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ذكر في الهندسة ما بين طرفي قرص الشمس ضعف
ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى
في اقل من ساعة وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر

على كل الممكنات

على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله م
والتعجب من لوازم المعجزات إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بيت المقدس لانه حينيذ لم يكن وراه مسجد
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من
لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر
شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الانبيا له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من
الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
لاقوال محمد عليه الصلاة والسلام الْبَصِيرُ بافعاله فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وَآتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت
اليك ان فعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ربا تكلون اليه
اموركم غيري ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا
بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا وذرية حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية
بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجا آبايهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة
إِنَّهُ ان نوحا عليه السلام كَانَ عَبْدًا شَكُورًا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايما بان انجاه
ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتدا به وقيل الضمير لموسى عليه السلام ٥
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ واوحينا اليهم وحيا مقضيا مثبوتا فِي الْكِتَابِ في التوراة لَتُفْسِدُنَّ
فِي الْأَرْضِ جواب قسم محذوف او قضينا على اجرا القسم المثبوت مجرى المقسم مَرَّتَيْنِ افساد تين
احدهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا وعد عقاب
اولهما بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا بخت نصر عامل لهراسب على بابل وجنوده وقيل جالوت
الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد ٥
فَجَاسُوا تردّدوا في طلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خِلَالَ الدِّيَارِ وسطها للقتل والغارة
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط
الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا وكان وعد
عقابهم لا بد ان يفعل ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ اي الدولة والغلبة عَلَيْهِمْ على الذين بعثوا
عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كستاسب بن
لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم

المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان
اسأتم فلها اي فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد
عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار
المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير
فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة
ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا
المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط عليهم الفرس مرة
اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال
ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم
وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم
فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما
يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات
او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة
والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر ۝
دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا
ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط
روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
كتافه فهرب فدعى عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه
فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يراد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله
بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا

هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل
والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا
آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى
المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا
اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية
الليل التي هي القمر جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا
الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الاشياء ۝
بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش
الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما
هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ع
ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان
الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات
ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه
على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما
بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه
كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان
الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي
ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك
قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته

المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة أمرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده
فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم
من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله
امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء فامر واذا اكثرته وفي
الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز
من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل
ان يكون منقولا من أمر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول
يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي ٥
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود ٥
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد
كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل
ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهور
وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون
المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم
جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد
الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي
لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط
الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله
الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه
نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من
كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا

لا يمنعه

لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في
الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد
فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او فتعجز من قولهم
قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة
والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى
ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية
التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي
الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا
او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز
ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون
المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكون في كنفك
وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما
وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر
لالتقاء الساكنين وتنوينه وقرأه نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي
عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة
من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا
تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما
جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

وامره بخفضهما مبالغة واراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك

الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط
رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع
الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من
الرحمة ان تهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما
لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال
لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير
وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر
من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة
الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء
ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل
التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا
السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم
لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق
في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغة في الكفر به فينبغي ان لا يطاع
واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من
الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه
لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا
ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنانا الله واياكم رزقنا الله
واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع

الشحيح

الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه
السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال
وانتظروه للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما
يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان القبض والبسط من
امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا
كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا
كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم
اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل
وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان
لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته — وخرطومه من منقع الماء راسب

وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع
المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا
باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل
مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان
قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي
القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك

والولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير
اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما
لوليه فان الله نصره حيث اوجب له القصاص وامر الولاة بمعاونته واما للذي يقتله
الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال
اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد
بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤولا
مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسال الناكث ويعاقب
عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا
تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب
ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا
تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم
يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد
بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله
لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب ... ولا اقفو الحواصن ان قفينا

ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى
العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في
العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد
منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه
لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله
غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم

مقامه

مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح
وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا
بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى
ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع
الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني
المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناه وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر
كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها
بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب
مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض
المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته
تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة
الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتاكيد على ان التوحيد
مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله وتركه غيره ضاع
سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما
هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من
رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة
للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات
لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد
اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له
ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله دونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى
بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة
البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا
بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما
يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون
وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية
مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى

لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب
اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا
غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان
وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب
لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي
به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده
الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ
على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بفتح اليا انه كان حليما حين
لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم
عن فهم ما يقرأه عليهم مستور اذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او
مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم
من الآيات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق ٥
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد
وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة
او توليه ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه
ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى
اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله

وقيل

وقيل الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في
جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون ٥
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم
كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول
الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام
في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة
قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك
رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون
قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب
وان لم يكن اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم
يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين
لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم
الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما
ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي
هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء
والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى

الله عليه وسلم نزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم
بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء
وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه
من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس والفضل او لان
المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين
زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى
غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة
يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو
اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل
وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما
منعنا ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحها قريش
الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت
به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن
ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات
اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل
او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من

بعثت اليهم

بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط
بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه
كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين
راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا
رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه
قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه
وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من
الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها
قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان
يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر
التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة
مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن
ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك
ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا
لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول
اي خلقته وهو طين او منه اي ااسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم
القيامة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا
اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا
من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة
وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه

فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم
فر لصاحبك عرضه واستصاب جزاء على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم من معنى
تجازون وحال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم
أن تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهو الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل
الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب
والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت عليهم
فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقرأ
حفص رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك
الرجل ورجالك وشاركهم في الأموال والأولاد بالحث على التوصل
إلى الولد بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الأديان
الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان
إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب
إن عبادي يعني المخلصين وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله إلا عبادك منهم
المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم قدرة وكفى بربك
وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي لكم هو الذي
يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون
عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من
أسبابه وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون
لكشفه إلا إياه أو ضل من تعبدونه عن إغاثتكم إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر
أعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة ع

عطاء فتى تمكن في المعالي ... فأعرض في المكارم واستطالا

وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر
أن يهلككم في البحر بالغرق قدر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف
بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة وقرأ ابن

كثير

كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم كما وصلوا
الساحل كفروا وأعرضوا وأن الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب
الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا
يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق
دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته
أي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال
القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب
المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب
والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف
الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول لطعامه بفيه
إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من
حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم تغرقهم
الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد
أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون
وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو وعلى أن الواو علامة
الجمع كما في قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم
بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل
بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف
والحكمة في ذلك إجلال عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا
فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك يقرءون كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء وجمع
اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين
يدل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس

السبت منهم عن القراة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو
في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه
الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه
صعبة في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهملة وقيل ان الاهتدا بعد لا
ينفعه الاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل
والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير يا في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي
وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا
وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما تحرم مكة
فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا
اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك
تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع
مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم
لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح
في انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على
ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما
يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل
الضعف من اسما العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف
الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان
كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض
ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك

الا قليلا الا زمنا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل
الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبيا فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ
لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك
لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال

عفت الديار خلافهم فكانما — الشواطب بينهن حصيرا

سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين ظهرهم فالسنة لله واضافتها
الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا
اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام
كدلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك
عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل
الى ظلمته وهو وقت صلاة العشا الاخرة وقران الفجر وهو صلاة الصبح سميت
قرانا لانه ركنه كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلاة الفجر دل
الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا
تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضيا والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل
وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس
الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقران
نافلة لك فريضة زايدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة

انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره ان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف
باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى يبعثك ذا مقام
وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار
واخراجه منه سالما وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه
وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر
الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك
الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن
ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد ويقول جاء
الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل من للتبعيض والمعنى ان منه ما
يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد
الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالسعة
والصحة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه
مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة
المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او
على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من
روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى
والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي
من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره

وحدث

وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود
قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها
او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك
وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بطرق حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر
الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لم
يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما
اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلاة
والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الجواب فقال بل نحن وانتم فقالوا
ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده الآية وما قالوه لسوء فهمهم لان
الحكمة الانسانية ان تعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به
معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به
خير الدارين وهو بالاضافة كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا
ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم
محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط
ماضيا كقول زهير * وان اتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم *
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة
لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان
يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه

مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فأبى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف
والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من
عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا
او يكون لك كل بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن
الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا
الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي
بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او
مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها
عليها كما حذف الخبر في قوله • فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون حالا من الملائكة
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء
في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه
تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه
او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل
وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل
فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما
منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور
الحق الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم
شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين
فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه
واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من
التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك



بشرا